الباب الأول

الإخاء الإنساني

obeikandl.com

الباب الأول

الإخـــاء الإنســـاني

الإخاء لغة [1]:

الأخ في النسب: معروف وهو من جمعك وإياه صُلب أو بطن، وقد يكون الصديق والصاحب. قال الله ﷻ: "إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.." سورة الحجرات/١٠، ولم يعن النسب، وقال: "... أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ.." سورة النور/٦١ وهذا في النسب. وفي الحديث: أن النبي ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار أي ألف بينهم بأخوة الإسلام والإيمان. وفي صفة أبي بكر "... ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام" [2].

وقال ابن الجوزي: الأخ: اسم يراد به المساوي والمعادل. والظاهر في التعارف: أنه يقال في النسب ثم يستعار في مواضع تدل عليها القرينة.

وأياً كانت المعاني، فإن من طبيعة الإنسان أن يكون آلِفاً مألوفاً، ذلك أنه يستعين من خلال الأُلفة على أداء الرسالة المنوطة به في الدنيا لتحقيق أهداف الاستخلاف، والمؤاخاة من أهم أسباب حدوث الأُلفة بين الناس.

الإخاء في القرآن الكريم:

وردت آيات قرآنية تشير إلى معان متنوعة للإخاء، منها:

أخوة النسب:

في مثل قوله تعالى:

- " وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطٍ إِلَىٰ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ " سورة الأنعام/٨٧

- " وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ " سورة مريم/٥٣

(١) لسان العرب – لابن منظور ص٩٢.

(٢) صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم – باب من فضائل أبي بكر الصديق (٢٣٨٢).

أخوة الدين:

في مثل قوله تعالى:

- ".. أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ " الحجرات/١٢

- " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا.. " سورة آل عمران/١٠٣

- " فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ.. " سورة التوبة/١١

- " ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ.. " سورة الأحزاب/٥

- "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾" سورة الحجرات/١٠

أخوة القبيلة:

في مثل قوله تعالى:

- " كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ " سورة الشعراء/١٠٦،١٠٥

- " كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾"سورة الشعراء/١٢٤،١٢٣

- " كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ " سورة الشعراء/١٤٢،١٤١

- " كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٢﴾ " سورة الشعراء/١٦١،١٦٠

- " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ.. " سورة العنكبوت/٣٦

أخوة المودة والمحبة:

في مثل قوله تعالى:

- " إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ " سورة الحجر/٤٥-٤٧

أخوة الصحبة:

في مثل قوله تعالى:

- " قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ " سورة الأحزاب/١٨

- " إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ.. " سورة ص/٢٣

مما سبق يتبين أن القرآن الكريم قد بين لنا أن الأخوة لا تشمل فقط أخوة النسب ولكن تشمل أيضاً الأخوة الإنسانية، بما في ذلك أفراد القبيلة الواحدة أو البلد الواحد، فضلاً عن أخوة المودة والمحبة والصحبة الصالحة، إذ رَبَّ صديقٍ يجمعه بصديقه أخوة ومودة ومحبة وائتلاف تزيد على ما بينه وبين أخيه الذي تجمعه به رابطة النسب.

ونلاحظ في الحياة العامة أحياناً أخوين في النسب يختلفان في الطباع والاهتمامات والتفكير، ونجد أن لكل منهما صديقاً حميماً يتفق معه في كثير من الأمور، مما يجعلهما متوافقين ومرتبطين، وتجمعهما صداقة متينة، تزداد بمرور الأعوام، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" (١).

الإخاء في السنة النبوية:

- عن المقدام بن معد يكَرِبَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه" (٢).
- عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة. قالوا: كيف يا رسول الله ؟ قال: الأنبياء أخوة من عَلَّات (٣). وأمهاتُهم شتى وديُنهم واحد، فليس بيننا نبي" (١).

(١) رواه مسلم (٢٦٣٨).

(٢) رواه أبو داود (٥١٢٤) واللفظ له، والترمذي (٢٣٩٣)، وقال الألباني في سلسلة الصحيحة (٧٠٣/١): صحيح.

(٣) أبناء العلات: من كان أبوهم واحداً وأمهاتهم شتى والكلام هنا على التشبيه.

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه" [٢].
- عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة" [٣].
- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس. فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا" [٤].
- عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" [٥] [٦].
- عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام" [٧].
- عن جابر ﷺ قال: قال النبي ﷺ حيث مات النجاشي: "مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم" [٨].
- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" [٩].

وقيل في حُسْن اختيار الإخوان والأصحاب:

---

(١) رواه البخاري – الفتح ٦ (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري – الفتح ١١ (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) واللفظ له.

(٣) رواه الترمذي (١٩٥٦) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٤) رواه مسلم (٢٥٦٥).

(٥) طلق: بفتح الطاء وسكون اللام: أي ضاحك مشرق.

(٦) رواه مسلم (١٥٥٠).

(٧) رواه البخاري – الفتح ١٠ (٦٠٧٧) واللفظ له، ومسلم (٢٥٦٠).

(٨) رواه البخاري – الفتح ٧ (٣٨٧٧).

(٩) رواه أبو داود (٤٨٣٣) واللفظ له، والترمذي (٢٣٧٨) وإسناده حسن.

obeikandl.com

- من وصايا لقمان لابنه: "يا بني؛ من لا يملك لسانه يندم، ومن يكثر المِراءَ يُشتم، ومن يصاحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يصاحب الصالح يغنم"[1].
- قال ابن المبارك: "من استخف بالعلماء ذهبت آخرتُه، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته"[2].

أركان الإسلام تؤكد الإخاء الإنساني:

فالشهادتان تؤكدان الاعتقاد والإيمان بالله الواحد خالق البشر جميعاً؛ رب الناس، ملك الناس، إله الناس. والإيمان برسول الله ﷺ المرسل للناس كافة لهدايتهم إلى الصراط المستقيم، وللدين القويم.

والصلاة بما فيها من اصطفاف المصلين جميعاً في صف واحد، الغني بجانب الفقير، والأمير بجانب الخفير، والشريف بجانب الوضيع[3] دون تفرقة أو أولوية، إلا لمن يرتاد المسجد أولاً.

والصيام مفروض على الجميع دون تفرقة؛ إلا لمريض أو مسافر أو من له عذر شرعي.

والزكاة والصدقات حق معلوم ممن تجب عليه إلى من تجب له؛ للفقراء والمساكين ولباقي المصارف التي أوردها الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ سورة التوبة/٦٠، لمساعدتهم في أداء احتياجاتهم المعيشية مما يؤدي إلى تقوية أواصر المودة والمحبة والأخوة بين جميع أفراد المجتمع على اختلاف قدراتهم المالية.

والحج لمن استطاع إليه سبيلاً، في لباس يذكّر بالآخرة، فيه تقشف وبساطة، يلبسه الغني والفقير، فلا تستطيع أن تفرق بينهما، فالكل يتساوى في اللباس وفي المناسك دون تفرقة بين شخص وآخر.

الموعظة الحسنة والإخاء الإنساني:

(١) المنتقي من مكارم الأخلاق (٢٠٢) – نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ج٢ ص١١٢.

(٢) آداب العشرة (٩) – نضرة النعيم ج٢ ص١١٤.

(٣) الوضيع: الذي لا قَدْرَ له. قليل الشأن – المصباح المنير ج٢ ص٩١٣.

قال تعالى:

- (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ...) سورة يونس/٥٧

- (.. إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ..) سورة النساء/٥٨

أن يكون الله ﷻ مصدر السلوك، واتباع شريعته، واجبا مفروضا، وأن يكون الناصح قدوة للمنصوح، فالقدوة مهمة، حيث يكون الداعي مثالاً يُحتَذَى به في أفعاله وتصرفاته، قال تعالى:

" قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ.. " سورة الممتحنة/٤

والرسول ﷺ، لأنه كان القدوة في أفعاله وأقواله، كان له تأثير كبير في الصحابة، فكان ﷺ وما زال قدوة للمسلمين جميعاً، والقدوة الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام، بكل ما يحمله من مبادئ وقيم تدعو إلى الخير وتحث على الفضيلة.

فالله ﷻ يقدم الموعظة والنصيحة للعباد، لأنه يريد الخير لهم، والرسول ﷺ بأقواله وأفعاله، يمثل القدوة الحسنة لنا، لنحرص على تقديم النصيحة لمن يطلبها، ولمن لا يطلبها طالما هو محتاج إليها، فنصيحة الغير تعتمد على إخلاص المحبة له، والشفقة عليه والسعي فيما يعود نفعه عليه.

فالحرص على الموعظة الحسنة للغير، ينبني أساساً على أن المسلم يجب أن يحب للغير ما يحب لنفسه، ويكره؛ ما يكره لنفسه؛ لذلك فهو يقدم النصيحة التي تحقق لغيره من الناس كل الخير وتصرف عنهم أي شر.

وعلينا أيضاً أن نقتدي بما ورد في القرآن الكريم فيما حكاه عن نصح بعض الرسل لقومهم، فقد حكى الله عن نوح عليه السلام:

(أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾) سورة الأعراف/٦٢

وحكى عن هود عليه السلام: (أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾) سورة الأعراف/٦٨

وحكى عن صالح عليه السلام: (وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾) سورة الأعراف/٧٩

والموعظة تكون بالحسنى، وبطريقة تحبب المنصوح له في النصيحة وتشجعه على قبولها والعمل بها، باعتبار أن الناصح يقدم النصيحة لما يحمله من محبة أو إخاء، بغرض تحقيق الخير لمن ينصحه.

وقد وردت أحاديث نبوية عديدة تحض على النصيحة والموعظة الحسنة منها:

- عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: " بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم"[1].
- عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ("حق المسلم على المسلم ست" قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: "إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له....")[2].
- عن تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ("الدين النصيحة". قلنا: لمن؟ قال:" لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم")[3].

ومن أهم العوامل لكي تؤثر النصيحة في الآخر، وتؤدي الموعظة دورها في القلوب، أن يكون الواعظ صادقاً مع نفسه ومع الآخرين، فالصدق مهم جداً لكسب ثقة الآخرين قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ سورة التوبة/١١٩

فالرسول ﷺ لصدقه مع رجال قريش طوال حياته قبل الرسالة كان ذلك منطقياً لاقتناعهم بصدق رسالته، لولا الجاهلية والعصبية القبلية التي أخرت قبول دعوته ردحاً من الزمن.

فالصادق مع الناس، في كل الأوقات، وفي مختلف المجالات يكسب الاحترام والمحبة ويغرس شعور الأخوة بينه وبينهم، وتكون هناك ثقة كاملة فيما يقدمه من نصيحة أو موعظة، أما إذا تضاربت أقواله، أو تناقضت أفعاله مع ما يدعو إليه من الخير والبر، فلن تكون لدعوته أي صدى من التأثير في الغير، أو شعور بالأخوة والترابط الإنساني.

ومن فوائد النصيحة والموعظة الحسنة[4]:

١- انتشار حب الخير للآخرين وبغض الشر لهم.

---

(١) رواه البخاري – الفتح٣ (١٤٠١)، ومسلم (٥٦).

(٢) رواه مسلم (٢١٦٢).

(٣) رواه مسلم (٥٥).

(٤) بتصرف من: نضرة النعيم ج٨ ص٣٥٠٧.

obeikandl.com

٢- تكثير الأصحاب وتقليل الحُسَّاد.
٣- صلاح المجتمع؛ إذ تشاع فيه الفضيلة وتقل فيه الرذيلة.
٤- بيان خطأ المخطئ في المسألة – وإن كرهه – من النصيحة الواجبة.
٥- من قام بها على وجهها يستحق الإكرام لا اللوم والتقريع.
٦- الأخذ بوصية الله ﷻ ووصية رسوله ﷺ صلاح حال الفرد والمجتمع معاً.

حسن العشرة والأدب والألفة مع الناس:

وقدوتنا في ذلك الرسول ﷺ الذي قال عنه ﷻ: (**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ۝) سورة القلم/٤، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه ﷺ: "فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن" (١).

ويقول علي ﷺ في وصف النبي ﷺ (٢):

(كان أوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة وأكرمهم عِشرة، وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ كان يتفقد أصحابه ويُعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسُهُ أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاربه لحاجة، صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يَرُدُّه إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناسَ بسطُهُ وخُلُقُه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء...وكان دائم البِشْر سهل الخلق لينَ الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عتَّاب ولا مداح، وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ويكافئ عليها).

والرسول ﷺ في تعامله مع أصحابه وغيرهم ممن يلتقي بهم، النموذج الأمثل في حسن المعاملة، مما جعل أصحابه يحرصون على حسن معاملته وإرضائه وتنفيذ أوامره، حتى وهم في أماكن بعيدة عنه، لثقتهم في صحة ما يخبرهم به، وأنه يهدف إلى مصلحتهم وتحقيق الخير لهم، وذلك بخلاف ما يفعله بعض الناس من تحقيق سيطرتهم على الغير بالعنف والقوة وتخويفهم بالعقاب الشديد، إن خالفوا أوامره المستبدة، وهذه العلاقة غير السوية تتضمن سيطرة ظاهرية فقط، تتحقق فقط عند وجود الشخص المسيطر، أما بمجرد غيابه، فيتم التحرر من هذه التعليمات والقيود والاستهزاء بها، ونجد مثال ذلك واضحاً في تعامل الكبار مع بعضهم البعض، أو في تعامل الآباء لصغارهم بالشدة المفرطة، فنجد

(١) رواه مسلم ج١ ص٥١٣ كتاب صلاة المسافرين باب جامع صلاة الليل.
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى – القاضي عياض ص٩٢.

الأطفال في غيابهم، يسارعون لأداء كل الممنوعات التي حرموا منها.

فتأثير الرسول ﷺ على أصحابه، ناتج عن سيطرته على قلوبهم وأفئدتهم، فيجعلهم ينفذون أوامره بمحبة وإخاء وبمحض إرادتهم وبكل طواعية وانقياد، لأنه في تعامله معهم، يجدون حسن العشرة والألفة والتواضع، ويصغي إلى مشاكلهم، وقد روي عنه أنه كان لا ينصرف عمن يتكلم معه حتى ينتهي المتكلم من حاجته ولا يغضب إلا لله، ولا يسارع إلى الانفعال أو تأنيب الغير، أو عقابه، بل كان حليماً متسامحاً، إعمالاً لقوله تعالى:

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ سورة الشورى/٤٠، وروى جرير بن عبد الله [1] :

(ما حجبني رسول الله منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم، وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم، ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر... وكان يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ولم يُرَ قط ماداً رجليه بين أصحابه حتى يُضَيِّقَ بهما على أحد، ويكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أَبَى، ويكنِّي أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرِمةً لهم، ولا يقطع على أحد حديثَه حتى يتجوَّز فيقطعه بنهي أو قيام، وروي أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلواته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلواته، وكان أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً ما لم يُنزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب).

فالمتتبع لسيرة الرسول ﷺ، يجد حسن العشرة والأدب والألفة عند تعامله مع الغير، بأسمى درجاتها، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة، فعلينا اتباعه في ذلك حتى تزيد من قوة ترابطنا بالغير والتوافق معهم، مما يشد بناء المجتمع بعضه على بعض، ويؤدي إلى نمو الشعور بالإخاء الإنساني بين الجميع وزيادة التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

تنمية الأخلاق في المجتمع:

الإنسان بالرغم من أنه يولد مكتسباً صفات معينة وطبائع موروثة، إلا أنه يتم صقل هذه الصفات والطبائع، بما يكتسبه من تصرفات والديه والمقربين منه، وما يتأثر به من صفات طيبة يدعو إليها الدين الإسلامي الحنيف، وما

(١) المرجع السابق ص٩٤،٩٣.

يتصف به الأشخاص الذين يعتبرهم قدوة له، فيحاول تقليدهم في تصرفاتهم؛ لانبهاره بهم؛ ليكون مثلهم أو قريباً منهم.

لذلك فإن البيت هو المدرسة الأولى التي يتعلم منها الطفل حسن الأخلاق والتصرفات السليمة مع نفسه ومع الغير، وبخاصة إذا اتفقت المبادئ الخلقية الطيبة مع التصرفات الفعلية، للوالدين والأقربين، وكلما كانت الأسرة متماسكة يسودها الوئام والمعاملة الحسنة، شب الطفل سليماً نفسياً، واستطاع الوالدان أن يغرسا فيه صفات المحبة والتفاهم والتعاون، والتمسك بالدين ومبادئه وقيمه.

وتأتي بعد ذلك المدرسة وما يتعلم فيها من دروس علمية وتربوية، ومدرسين يغرسون فيه حب العلم والتعلم، والأخلاق الطيبة التي يتعامل بها مع باقي التلاميذ والطلاب بل والمدرسين.

وبعد أن يشب الطفل، ويزداد في العمر، ويجتاز المراحل الأولى في التعليم، ويبدأ في مشاهدة التلفاز وقراءة الجرائد اليومية، ويتأثر بالمحيط العام الذي يسود المجتمع، والقيم الخلقية التي تنتشر بين أفراده سواء تلك الطيبة أو غير الطيبة.

لذلك يجب أن تبدأ عناية الدولة بالأسرة ثم بالمدرسة؛ ليتم غرس الأخلاق والقيم الطيبة فيهما، لتنشئة الطفل النشأة الصحيحة، ويعتاد على الصدق والأمانة والإخاء الإنساني والتسامح والمحافظة على الوقت، ويتعلم كيف يتعامل مع الآخرين في سعيه لإشباع حاجاته وتحقيق مصالحه بما لا يتعارض مع الغير ولا يضر بحقوقه ومصالحه أيضاً.

التواضع:

التواضع صفة كريمة رفيعة، لا يتحلى بها إلا من صفت نفسه وحسن تفكيره وهي من الأخلاق الاجتماعية الطيبة التي يجب أن تسود بين الناس، وعلى العكس من ذلك؛ صفة الكبر فهي صفة مرذولة، تؤدي إلى العداوة مع الناس، وتردى صاحبها موارد الهلاك وبخاصة إذا وصل به التكبر إلى عصيان أوامر الذات الإلهية، كما فعل إبليس – لعنة الله عليه – وتأكيدا لذلك وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم وكذلك أحاديث نبوية عديدة تأمر – صراحة وضمنا – بالتواضع وعدم التكبر، منها ما يلي:

قال تعالى:

- " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ

وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾" سورة آل عمران/١٥٩

- " لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ " سورة الحجر/٨٨

- "وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ " سورة الشعراء/٢١٥

- " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾" سورة الإسراء/٢٣، ٢٤

- " وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾" سورة الإسراء/٣٧

- " وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ " سورة الفرقان/٦٣

- " وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ " سورة لقمان/١٨، ١٩

ومن الأحاديث النبوية في الأمر بالتواضع والتشجيع عليه؛ لأن جزاءه خير من الله سبحانه، ما يلي:

- عن ركب المصري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (طوبى لمن تواضع في غير منقصة [1]، وذَلَّ في نفسه من غير

(١) أي: معصية وارتكاب دنيئة.

مسألة، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة...)[1].

- أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (وإن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)[2].
- عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[3].
- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر ﷺ يقول على المنبر:[4]

سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تطروني[5] كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد؛ ولكن قولوا: عبد الله ورسوله)

من النصوص السابقة يتضح أهمية تمسك الإنسان بالتواضع في تعامله مع الغير، وتتنوع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في إشاراتهما صراحة أحيانا وضمنا أحيانا أخرى، إلى ثمرات التواضع العديدة في الدنيا والآخرة، ومن ذلك ما يلي:

١- أن لين الرسول ﷺ وتواضعه مع أصحابه من رحمة الله التي أسبغها عليه وحباه بها، وأنه ﷺ لو كان يسيء معاملتهم لانفضوا من حوله، وهذا يدعونا إلى الاقتداء برسول الله ﷺ لتزداد أواصر المحبة بيننا، وتعم الألفة وحسن المعاملة، وتتحقق المصالح المشتركة للجميع.

٢- التواضع في معاملة الوالدين، مطلوب بدرجة أشد، فقد أمر الله ﷻ بعبادته، ثم أتبع ذلك مباشرة بالإحسان إلى الوالدين، والإحسان درجة فوق العدل والمساواة، إلى أن يصل قضاء حكم الله بأن يخفض الولد لوالديه (جناح الذل من الرحمة) (وهذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للأمير والعبيد

---

(١) الترغيب والترهيب جـ٣ صـ٥٥٨.

(٢) رواه مسلم ٢٨٦٥.

(٣) رواه مسلم ٢٥٨٨.

(٤) رواه البخاري – باب الفتح جـ٦ صـ٣٤٤٥.

(٥) الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه؛ أي المدح بما ليس فيه.

للسادة[1] فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة، في أقواله وسكناته ونظره، ولا يُحِد إليهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب)[1].

٣- أن الله ﷻ ينهى الإنسان أن يمشي بالخيلاء ويأمره بالتواضع في قوله تعالى في سورة لقمان: " **وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا** ۖ "، فالإنسان ضعيف مهما أوتى من قوة فلن يستطيع أن يخرق الأرض، ولن يبلغ طول الجبال، لأن قامته مهما طالت فهي محدودة لا تقارن بارتفاع الجبال التي وصل بعضها إلى عدة كيلومترات.

٤- ومن الحكم التي رواها القرآن الكريم على لسان لقمان عليه السلام لابنه وهو يعظه، ألا يصعر[2] خده للناس تكبرا عليهم، ولا يمشي في الأرض متبخترا متكبرا، ويتوسط في سرعة المشي، ما بين الإسراع والبطء، (أي لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثبة الشطار، وأما ما روى عنه عليه السلام؛ أنه كان إذا مشى أسرع، وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما: كان إذا مشى أسرع، فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت)[3].

ومن وصايا لقمان عليه السلام لابنه؛ أن يخفض من صوته عند الكلام (أي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي، والمراد بذلك كله التواضع، وقد قال عمر لمؤذن تكلف رفع الأذان بأكثر من طاقته: لقد خشيت أن ينشق مُريطاؤك)[4]، وفي الآية ١٩ من سورة لقمان؛ الأمر بخفض الصوت، ثم الإتيان بدليل على أن من يرفع الصوت يتشبه بالحمار في نهيقه، الذي يعد من أنكر الأصوات وأقبحها وأوحشها.

(وفي الآية دليل على تعريف قبح رفع الصوت في المخاطبة والملاماة[5] بقبح أصوات الحمير لأنها عالية.. وقال سفيان الثوري: صياح كل شيء تسبيح إلا نهيق الحمير... وهذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاونا بهم، وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت وغير ذلك، فمن كان منهم أشد صوتا كان أعز، ومن كان

(١) الجامع لأحكام القرآن – للإمام القرطبي جـ١٠ صـ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) الصَّعر: الميل، أي يميل رأسه وخده يمينا أو يسارا تكبرا على الناس.

(٣) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي جـ١٤ صـ٧١.

(٤) المرجع السابق جـ١٤ صـ٧١ والمريطاء: ما بين السرة إلى العانة.

(٥) الملاماة: أي الملاومة والمباغضة.

أخفض كان أذل، فنهى الله ﷻ عن هذه الأخلاق الجاهلية بقوله: " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير " أي لو أن شيئا يهاب لصوته لكان الحمار[1] فجعلهم في المثل سواء) .

تواضع الرسول ﷺ[2]

(تواضعه للناس وهم أَتْبَاع، وخفض جناحه وهو مطاع، يمشي في الأسواق ويجلس على التراب، ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم إلا بإطراقه وحيائه، فصار بالتواضع متميزاً، بالتذلل متعززاً.

ولقد دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيبته، فقال: خفض عليك، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة، وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه فهي غريزة فطر عليها وجِبِلَّة طبع بها لم تَنْدُر فتعد، و لم تحصر فتحد).

فالتواضع تأكيد للأخوة الإنسانية، فالله ﷻ خلق الناس على هيئة واحدة، والاختلافات في اللون أو الطول أو الملامح خلافات ثانوية، يمكن أن تتغير، أما النفس الإنسانية والتركيبات العضوية فهي واحدة، وكذلك الاختلافات المالية أو الوظيفية فهي متقلبة بتغير الأحوال؛ لذلك فالإنسان السَّوِي يقوم بتعظيم من فوقه لِفَضْلِه، واحترام من دونه لإخوته الإنسانية.

فالتكبر على الغير سواء أكان عظيماً أو وضيعاً؛ سوء خلق، والإخاء الإنساني يقتضي معاملة كل الناس بالحسنى، وقد أشرنا إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد ذلك.

المحافظة على نصيب الورثة:

من رحمة الله بعباده أن بين لكل وارث نصيبه في التركة، توضيحاً يزيل كل لبس أو خلاف، حتى يحصل على حقه الذي فرضه الله له، وأمر كل شخص بعدم حجب حق الورثة حتى يحصلوا على حقهم كاملاً، لهذا كان من رحمة الله بعباده أن بَيَّن لكل وارث نصيبه في التركة، بل جعل الله التوريث إجبارياً للوارث فلا يحتاج إلى موافقته، وليس له أن يرفض نصيبه من التركة، لأنه نصيب ملكه الله له.

والأخوة الإسلامية والأخوة الإنسانية تقتضي أن يحرص كل شخص على حقوق غيره، لتوصيلها إليه، ولا يستولي عليها ولا يترك الفرصة لأي شخص آخر ليحصل على حق غيره، ويحرم الوارث الحقيقي من حقه الذي كفله

(١) المرجع السابق جـ١٤ صـ٧٢.

(٢) نضرة النعيم ج١ ص٤٤١.

له الله ﷻ، فقد يكون من بين الورثة أطفال صغار في أشد الحاجة للرعاية والعناية، وبخاصة للإنفاق على أمور حياتهم ومستقبلهم الدراسي من السكن والأكل وغير ذلك من احتياجاتهم المعيشية في مختلف مراحل حياتهم.

وقد حذر الله الناس من الضلال بعدم الالتزام بنصيب كل وارث، فقال تعالى بعد أن بين أحكام المواريث: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ سورة النساء/١٧٦

وقد أمر الله الناس بالمحافظة على مال اليتيم؛ لأنه صغير لا يستطيع المحافظة على ماله، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ..﴾ سورة الأنعام/١٥٢، ونهى عن أكل مال اليتيم وغلظ العقوبة فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ سورة النساء/١٠.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات" وذكر فيها "وأكل مال اليتيم".(١)

فالتعامل مع الأقارب بأخوة ومحبة يقتضي المحافظة على حقوقهم التي أمر الله بها وبخاصة أنصبائهم في المواريث؛ لأنها حقوق أكد الله عليها وحذر من التهاون فيها أو استقطاع أي نسبة منها بدون وجه حق، حتى لا يؤدي ذلك إلى انفصام عرى الأخوة، وانقطاع صلة الرحم، وفتح باب الخلافات والمنازعات القضائية بين أفراد الأسرة الواحدة.

(١) رواه البخاري – كتاب الوصايا – باب قول الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى...﴾ (٢٦١٥)، ورواه أبو داود – كتاب الوصايا – باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم (٢٨٧٤).

obeikandi.com

حسن معاملة الغير والأخوة الإنسانية

١- الأمانة في التعامل:

الأمانة هي خلق كريم، تتمثل في الحرص على إعطاء الحقوق لأصحابها، وهي فريضة عظيمة حملها الإنسان، وتعهد بها أمام مولاه، وجعلها الرسول ﷺ دليلا على إيمان المرء وحسن خلقه، فعن أنس بن مالك قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال في الخطبة:[١]

" لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ".

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:[٢] " إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة " قال: كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال: " إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ".

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ يحدث القوم جاءه أعرابي فقال متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال بعض القوم: سمع ما قال وكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال: " أين السائل عن الساعة ؟ " قال: أنا ذا، قال: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة"، قال: فما إضاعتها؟ قال: "إذا اشتد الأمر فانتظر الساعة"[٣].

والعبد بعد أن يؤدي الأمانة ويحرص على أداء فرائض الله وأوامر الرسول ﷺ من صلاة وصيام وغير ذلك من الطاعات، عليه أن يكون أميناً في تعامله مع الغير، الذي يقتضي الحرص على الأمور التالية:

١- المحافظة على الودائع والحرص على أدائها لأصحابها:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ..﴿٢٨٣﴾﴾ سورة البقرة/٢٨٢

فهذه الآية تأمر بأداء الأمانة ورد الديون إلى أصحابها والودائع إلى مودعها، لتتحقق للمرء حسن مراقبة الله والخوف منه، ويتصف بالتقوى التي تدفعه للحرص على التحلي بالأمانة في جميع تصرفاته مع الغير.

(١) فهرس ابن حبان – كتاب الإيمان (١٩٤) ورواه أحمد.

(٢) رواه البخاري – كتاب الرقاق – باب رفع الأمانة (٦١٣١).

(٣) رواه ابن حبان – كتاب العلم – باب ذكر الخبر الدال على إباحة إحابة العالم السائل بالأجوبة على سبيل التشبيه والمقايسة دون الفصل في القصة (١٠٤).

ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة، عندما جاءه رجل من الكفار يطالبه بدين عليه بطريقة استفزت الصحابة وعلى رأسهم سيدنا عمر ﷺ الذي شهر سيفه في وجهه وأراد أن يبطش به، فغضب منه النبي سيدنا محمد ﷺ وقال له ما معناه يا عمر " مره بحسن الطلب ومرني بحسن الأداء" مع أن الكافر أتى رسول الله ﷺ قبل ميعاد السداد المتفق عليه، ولكن الرسول ﷺ أراد أن يعلمنا ويبث فينا الحرص على الأمانة في رد الودائع والديون، وفي يوم هجرته ﷺ ترك سيدنا على بن أبي طالب ﷺ في فراشه ليرد الأمانات إلى أصحابها بالرغم من أذى أهل مكة له وجورهم عليه ﷺ، وجعل ظلمهم له في جانب والأمانة التي هي سماته في الجانب الأهم و لم يتغافل عنها في شدته.

وقال القرطبي في تفسيره هذه الآية:[1]

يعنى إن كان الذي عليه الحق أمينا عند صاحب الحق وثقة فليؤد له ما عليه ائتمن وهو أمر معناه الوجوب، بقرينة الإجماع على وجوب أداء الديون وثبوت حكم الحاكم به وجبره الغرماء عليه، وبقرينة الأحاديث الصحاح في تحريم مال الغير.

وقوله تعالى: " ومن يكتمها فإنه آثم قلبه " خص القلب بالذكر إذ الكتم من أفعاله، وإذ هو المضغة التي بصلاحها يصلح الجسد كله كلما قال عليه السلام، فعبر البعض عن الجملة، وقال الكيا: لما عزم على ألا يؤديها وترك أداءها باللسان رجع المآثم إلى الوجهين جميعا، فقوله: " آثم قلبه " مجاز، وهو أكد من الحقيقة في الدلالة على الوعيد، وهو من بديع البيان ولطيف الإعراب عن المعاني. يقال: إثْـــم القلب سبب مسخه، والله تعالى إذا مسخ قلبا جعله منافقا وطبع عليه، نعوذ بالله منه.

٢- الأمانة في المعاملات مع الغير:

من الأمانة التعامل مع الغير بصدق وإخلاص وتعاون، ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة، حيث كان معروفا عنه قبل وبعد البعثة أنه (الصادق الأمين)، ولذلك اكتسب محبة وثقة عشيرته وأقاربه، غنيّهم وفقيرهم، رجالهم ونسائهم- إلا من طمس الله على بصيرته وتكبر عن قبول الحق والصواب – والأمثلة على ذلك عديدة، منها ما حدث قبل البعثة عندما احتكم إليه قومه في وضع الحجر الأسود الشريف بالكعبة، وقبلوا ما أشار عليهم به، لأنهم وجدوه حكما عدلا، يحقق لكل من الطرفين ما يصبوا إليه من رفعة ومكانه، واستأمنته السيدة خديجة على أموالها

(١) الجامع لأحكام القرآن جـــ٣ صـــ٤١٤، ٤١٥ " بتصرف ".

للتجارة بها فتضاعفت ببركته وأمانته، وكتب السيرة غنية بالروايات التي تؤكد شمائله الطيبة وأمانته مع كل من تعامل معه.

مما سبق يؤكد أننا يجب أن نقتدي بالرسول ﷺ في أمانته وصفاته الطيبة، واثقين أن ذلك سيؤدي إلى حسن العاقبة في الدنيا والآخرة، ويجعل علاقاتنا بالغير طيبة، ويزيد من أواصر الأخوة بين الجميع.

كما أن لنا في قصة سيدنا يوسف عليه السلام الذي تمسك بالأمانة عندما أرادت امرأة العزيز أن تراوده عن نفسها، وامتنع عن الاستجابة لها، لأن عزيز مصر استأمنه على بيته وأهله، فكان جزاؤه من الله واسعا – بعد قليل من الابتلاء – حيث مكنه الله من خزائن مصر وتزوج المرأة التي راودته بعد وفاة زوجها وجلس على عرش مصر وجعل الله إخوته مع والديه يخرون له سجدا، وفي هذه القصة وغيرها من القصص القرآني العبرة الحسنة وذلك مصداقا لقوله تعالى في سورة يوسف: " لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ "، وقد أمرنا الله ﷻ بأداء الأمانات إلى أهلها وذلك في قوله تعالى في سورة النساء: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ "

وقال القرطبي في تفسيره لهذه الآية:[1]

قال ابن جريج وغيره: ذلك خطاب للنبي ﷺ خاصة في أمر مفتاح الكعبة حين أخذه من عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة ومن ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وكانا كافرين وقت فتح مكة، فطلبه العباس بن عبد المطلب لتضاف له السدانة إلى السقاية، فدخل رسول الله ﷺ الكعبة فكسر ما كان فيها من الأوثان، وأخرج مقام إبراهيم ونزل عليه جبريل بهذه الآية. قال عمر بن الخطاب: وخرج رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية، وما كنت سمعتها قبلُ منه، فدعا عثمان وشيبة فقال: " خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ". وحكى مكي: أن شيبة أراد ألا يدفع المفتاح. ثم دفعه، وقال للنبي ﷺ: خذه بأمانة الله. والأظهر في الآية أنها عامة في جميع الناس فهي تتناول الولاة فيما آل إليهم من الأمانات في قسمة الأموال ورد الظلامات والعدل في الحكومات. وهذا اختيار الطبري. وتتناول من دونهم

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ٥ صـ٢٥٥.

من الناس في حفظ الودائع والتحرّز في الشهادات وغير ذلك.

فمن يكتسب صفة الأمانة ويشتهر بذلك بين الناس، ينال حب الله، ويؤلف الله له قلوب الناس فيحبونه لأمانته، عن وكيع قال حدثنا الربيع عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ:

" أد الأمانة ولا تخن من خانك "[1].

وحياة الصحابة رضوان الله عليهم مملوءة بالأمثلة التي تدل على الأمانة، منها ما روى أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج ليتحسس الرعية فسمع حواراً بين إبنةٍ وأُمها حين أمرت الأم ابنتها بأن تخلط اللبن بالماء ليزداد فقالت: يا أماه إن أمير المؤمنين عمر نهى عن غش اللبن فقالت أمها: إنه نائم لا يرانا فقالت لها ابنتها قولتها المشهورة " يا أماه إن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا " فَسُرَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ من الفتاة وزَوَّجها لابنه عبد الله بن عمر ﷺ وجاء من ذريتهما عمر بن عبد العزيز ﷺ خامس الخلفاء الراشدين. وهذا يدل على أن الأمانة سر يجري في دم من يتمسك بها ويسري في الذرية.

عن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم"[2]، وهكذا فإن كل راع مسئول عن رعيته بأن يكون أميناً عليها، فهذا الحديث يشمل كل مسئول عن بلده، أو وظيفته أو أسرته كل سيسأل أمام الله عن أمانته في مسئوليته. وفي موقعه.

ومن الأمانه في التعامل مع الغير، الأمانة في البيع والشراء، فقد نهى الإسلام عن الغش والخيانة ومحاولة الحصول على ما يزيد على حقه، فقد مر النبي ﷺ على رجل يبيع طعاماً فأدخل يده في كومة الطعام فوجده مبلولاً فقال له: " ما هذا يا صاحب الطعام؟ فقال الرجل: أصابته السماء (المطر) يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ من غش أمتي فليس مني". رواه مسلم

٣- الحرص على المسارعة لقضاء الدين:

كل إنسان مهما كانت قدراته المالية قد يحتاج – أحيانا – إلى الاستدانة من الغير للوفاء ببعض الالتزامات

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٥ – رقم ١٢/٤٤١.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة والحث على الرفق بالرعية – باب فضيلة الإمام العادل رقم ١٨٢٩.

العاجلة أو شراء بعض المتطلبات التي يحتاجها مما لا تسمح به قدراته المالية الحالية، أو للطموح في الدخول في بعض المشروعات التجارية التي تزيد من أرباحه.

وبناء عليه فقد حثت الشريعة الإسلامية على مساعدة الغير بإقراضه عند احتياجه لذلك، وفي الوقت نفسه أمرت المدين بسرعة الوفاء بالقرض للدائن وإن كان غنيا لا يحتاج لمبلغ القرض لقول الرسول ﷺ:" مطل الغني ظلم وإذا أُتبع أحدكم على ملئ فليتبع "[1].

كما يجب على المدين حسن قضاء الدين، بالحرص على الوفاء به في موعده، أو على الأقل الاعتذار عن عدم الوفاء إذا حل موعد الوفاء دون استطاعة السداد، وأن يكون رده على الدائن رداً حسناً عند مطالبته بالسداد عند حلول الأجل، أو حتى قبل حلوله، فقد تطرأ أسباب طارئة تجعل الدائن في حاجة إلى أمواله التي في ذمة المدين أو بعضها.

كما يجب على المدين التوسط والاعتدال في أمور حياته والاقتصاد في معيشته حتى يستطيع أداء الدين في أقرب وقت، ولا يحتاج إلى الاستدانة مرة أخرى وإن اضطر إليها فبأقل قدر ممكن، وأن يعمل جاهداً على الاقتصاد في الإنفاق، وأن يحرص على عدم الإسراف أو التبذير، ولا يلجأ إلى شراء كماليات لا ضرورة عاجلة لها، وأن يضع نصب عينيه دَيْنه الذي يقع على عاتقه، ويعمل جاهداً على اقتطاع أي فائض من أمواله، ويخصصها لسداد الدين.

فالدائن والمدين لو التزما بما أمر به الشرع الإسلامي الحنيف فستزداد علاقات الأخوة بينهما، وتتوطد صلتهما، وتنمو المحبة والإخاء في قلوبهما، ويتجنب كل منهما الخلافات والنزاعات التي قد تحدث بينهما نتيجة عدم التزام المدين بسداد الدين أو عدم استجابة الغني لحاجة الفقير في الاقتراض لمواجهة التزامات عاجلة أو ضرورية له أو لأسرته.

بل إن الخلاف والنزاع قد يتطور إلى ساحة المحاكم القضائية للمطالبة بالدين، مما يهدد العلاقات الطيبة بين الطرفين، ويحولها إلى عداوة وبغضاء.

٤- الصدق في الكلام مع الغير:

من الأمانة أن يلتزم المسلم بالصدق مع الغير، فيعرف قدر الكلمة وأهميتها في حسن التعامل مع الغير، فالصادق يحترم من يتكلم معه ولا يخدعه بالكذب عليه، لذلك فإن الصدق يؤكد أواصر الأخوة بين الجميع، والكذب يؤدي

(١) رواه مسلم جـ٣ صـ١١٩٧ (١٥٦٤) كتاب المساقاة – باب تحريم مطل الغنى – ورواه أبو داود جـ٣ صـ٢٤٧.

إلى عدم الثقة، وضعف الترابط، وانعدام التعاون في العلاقات المالية أو الاجتماعية والأسرية، فالصدق كلام طيب والكذب كلام فاسد نهى الله ﷻ عنه، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ سورة إبراهيم/٢٤

- عن بلال بن الحارث يقول: قال رسول الله ﷺ:[1]

(إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله ﷻ له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وأن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله ﷻ عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه).

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:[2]

(كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة).

- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:[3]

(الكلمة الطيبة صدقة) .

٥- الأمانة في حفظ أسرار الغير:

من واجب المرء ألا يفشي سر أخيه، لأنه ائتمنه عليه واختصه به دون غيره من الناس، لكي يستشيره ويأخذ رأيه فيما واجهه من مشاكل وكيفية علاجها، لذلك فمن واجب المرء نحو أخيه أن يحافظ على سره، ولا يفشيه لأي شخص آخر.

عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ:[1]

(١) سنن ابن ماجة – كتاب الفتن- باب كف اللسان في الفتنة – (٣٩٦٩)، وموطأ مالك – كتاب الكلام – باب ما يؤمر به من التحفظ في الكلام (١٧٨١).

(٢) رواه البخاري – كتاب الجهاد والسير- باب من أخذ بالركاب ونحوه (٢٨٢٧).

(٣) رواه البخاري – كتاب الأدب – باب طيب الكلام (٥٦٧٦).

obeikandl.com

" إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة " وقال الحسن: إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك.

٦ – الأمانة في العمل:

يأمر الله ﷻ العباد بعد أداء العبادات أن ينتشروا في الأرض للعمل واكتساب الرزق لمواجهة متطلبات الحياة المعيشية لهم ولأسرهم فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ سورة الجمعة/١٠

ويأمرنا الشرع الإسلامي الحنيف بحسن أداء العمل وإتقانه، وحسن معاملة زملاء العمل والرؤساء، وعدم التقاعس في إنهاء الأعمال، ومحاولة تحميل الغير بها أو التمارض أو الحصول على إجازات كثيرة بمختلف أنواعها، مما يُحمل الغير أعباء هذه الأعمال الإضافية، لأن هذا السلوك يبذر بذور الخلاف بين الزملاء والعمل.

وفي الوقت نفسه إن تعرض الغير لأمور تضطره إلى التغيب عن العمل أو للحصول على إجازاته السنوية، فلا يتهرب زملاؤه من تحمل مسئولياتهم ويقوموا بقبول القيام بعمله أثناء الإجازة، من واقع التعاون بين الزملاء، حتى تسود المحبة والعلاقات الطيبة والأخوة بينهم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:[٢]

(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

فالحرص على الأمانة في العمل، ومعاملة الزملاء والرؤساء بأخوة ومحبة، شيء يرضى عنه الله ﷻ ورسوله ﷺ.

فعندما يلتزم المسلم بالأمانة في تعامله مع الغير، تزداد أواصر المحبة بين الجميع، وتقوى العلاقات الإنسانية، ويسود الإخاء بينهم، وقد أثنى الله على عباده المؤمنين الذين يتصفون بالصفات الطيبة ومنها الأمانة فقال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١..... إلى قوله تعالى: وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ سورة المؤمنون/٨، سورة المعارج/٣٢

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالأمانة مع جميع الناس وألا نخون من خاننا فقال ﷺ:[٣]

(أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك).

والأمانة في التعامل مع الغير علامة من علامات الإيمان، وخيانة الأمانة من علامات النفاق، قال ﷺ:[١]

---

(١) رواه أبو داود – كتاب الأدب – باب في نقل الحديث (٤٨٦٨)، ورواه الترمذي – أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ – باب ما جاء أن المجالس أمانة (٢٠٢٥).

(٢) مسند أبي يعلي – ج٧ – مسند عائشة (٤٣٨٦).

(٣) رواه أبو داود – كتاب الإجارة – باب الرجل يأخذ حقه من تحت يده (٣٥٣٤).

(آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان). متفق عليه

فالحرص على خلق الأمانة والتعامل مع الغير بأمانة، يؤدي إلى زيادة الإخاء بين الناس، ويقضي على أسباب النزاع والخلافات بينهم وينتشر السلام والأمن في ربوع البلاد.

٢- الوصية بالجـــار:

وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية عديدة، تأمر بالإحسان إلى الجيران سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، والإحسان يعني حسن العشرة وكف الأذى، ومعاملتهم معاملة طيبة تزيد على ما يقدمه الجيران من معاملة، فقال تعالى: " وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ " سورة النساء/٢٦

ونشير إلى عدد من الأحاديث النبوية تؤكد إكرام الجار وعدم إيذائه والإحسان إليه، ولم تخصص هذه الأحاديث الجار المسلم، بل جاءت النصوص عامة تشمل كل الجيران على اختلاف عقيدتهم أو ديانتهم أو جنسياتهم، ومن هذه الأحاديث:

عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال:[٢]

- (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)[١]

- عن الحسن البصري أنه " كان لا يرى بأسا أن تطعم جارك اليهودي والنصراني من أضحيتك"[٣].

وتؤكد كتب التفاسير القرآنية، أن النصوص القرآنية والنبوية تؤكد أن المقصود بالجار، عام في كل جار مسلما

---

(١) رواه البخاري – كتاب الإيمان – باب علامة المنافق (٣٢).

(٢) صحيح مسلم ج١ ص ٨٦، ٩٦ – باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان.

(٣) نضرة النعيم ج٥ – صـــ١٦٧٤.

كان أو كافرا، ومن ذلك ما يلي: [1]

(الجار ذي القربى "المسلم" والجار الجنب "اليهودي والنصراني" قلت: وعلى هذا فالوصية بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلما كان أو كافرا وهو الصحيح، روى البخاري عن عائشة عن النبي ﷺ قال: " مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " وروى عن أبي شُريح أن النبي ﷺ قال: "والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ؟ قيل يا رسول الله من ؟ قال: " الذي لا يأمن جارُه بوائقه " [2] وهذا عام في كل جار).

يتضح مما سبق أن الإسلام في تقويته للأخوة الإنسانية، يوصي كل شخص أن يحسن إلى جاره، وأن يمتنع عن إزعاجه بإصدار أصوات عالية، أو إطلاق روائح كريهة، أو وضع الفضلات أمام سكنه أو الاعتداء عليه أو على أحد من أفراد أسرته، إلى غير ذلك من الأمور التي تضايقه أو تجعل إقامته غير مريحة.

فإذا انتشرت المحبة وحسن التعامل بين الجيران في ربوع الوطن، ساد الأمن والأمان، وعاش الجميع في راحة واستقرار.

٣- إفشاء السلام:

أجمع العلماء على أن الابتداء بالسلام سُنَّة مُرَغَّب فيها ورده فريضة لقوله تعالى:

" وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ.. ﴿٨٦﴾ " [3] سورة النساء/٨٦

فإفشاء السلام بين الناس، يؤدي إلى التقارب والمودة، وينفي وجود أي خلاف أو شقاق.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: [4]

(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أوَ لا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم).

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى عن لسان إبراهيم عليه السلام:

(١) الجامع لأحكام القرآن – القرطبي ج٥ صـ١٨٣، ١٨٤.

(٢) بوائقه: أي غوائله وشروره، واحدها بائقة وهي الداهية.

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ٥ – صـ٢٩٧ وما بعدها.

(٤) جـ١ صـ٧٤ برقم ٥٤.

" قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾" سورة مريم/٤٧

(قال النقاش: حليم خاطب سفيها؛ كما قال: " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما".

قيل لابن عيينة: هل يجوز السلام على الكافر ؟ قال: نعم؛ قال الله تعالى:

" لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ " سورة الممتحنة/٨ وقال: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ.. ﴿٤﴾ " سورة الممتحنة/٤، وقال إبراهيم لأبيه: "...سَلَٰمٌ عَلَيْكَ.. ﴿٤٧﴾ " سورة مريم/٤٧

وجاء في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١)

وقد روى عن السلف أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب. وفعله ابن مسعود بدهقان صحبه في طريقه؛ قال علقمة: فقلت له يا أبا عبد الرحمن أليس يكره أن يبدءوا بالسلام ؟! قال: نعم؛ ولكن حق الصحبة. وكان أبو أسامة إذا انصرف إلى بيته لا يمر بمسلم ولا نصراني ولا صغير ولا كبير إلا سلم عليه؛ فقيل له في ذلك فقال: أمرنا أن نفشي السلام. وسئل الأوزاعي عن مسلم مر بكافر فسلم عليه، فقال: إن سلمت فقد سلم الصالحون قبلك، وإن تركت فقد ترك الصالحون قبلك. وروى عن الحسن البصري أنه قال: إذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلم عليهم.

وقد برر ابن قيم الجوزية حديث " لا تبدؤهم بالسلام " بقوله: (٢)

" قيل إن هذا كان في قضية خاصة لما ساروا إلى بني قريظة قال لا تبدؤهم بالسلام، فهل هذا الحكم عام لأهل الذمة مطلقا أو يختص بمن كانت حاله بمثل حال أولئك؟ هذا موضع نظر.. وثبت عنه ﷺ أنه مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين وعبدة الأوثان واليهود فسلم عليهم، وصح عنه أنه كتب إلى هرقل وغيره بالسلام على من اتبع الهدى ".

مما سبق يتضح جواز إلقاء السلام على غير المسلمين، والرد عليهم وهذا ثابت من السنة الصحيحة؛ لأن الأصل هو السلام بين المسلم وغيره من الناس أجمعين مسلمين وغير مسلمين، باعتبار أن إلقاء السلام بين الناس يؤدي إلى

(١) جـ١١ صـ١١٢.

(٢) زاد المعاد في هدى خير العباد ج٢ صـ٢٧.

obeikandl.com

زيادة المحبة والألفة، ويؤكد وجود الأخوة بينهم، ويساعد على زيادة التفاهم والمودة.

٤- قبول الهدية والإثابة عليها:

سبق أن ذكرنا أن الإنسان بحكم تواجده في مجتمع، يعيش ضمن أسرة متعددة الأطراف، يضم آلاف أو ملايين الأسر؛ لذلك فإن التعامل بين الجميع ضروري، حيث يتكاملون ويتعاونون في تحقيق مصالحهم والنهوض بدولتهم.

والناس في تعاملهم مع بعضهم يحتاجون إلى ما يعمق أواصر المودة والمحبة بينهم، وقد رأينا أن الرسول ﷺ كان يأمر بإفشاء السلام، باعتباره سببا لرفع الجفوة بين الناس وزيادة الألفة والمحبة.

ومن الأمور التي أرشدنا إليها الرسول الأمين ﷺ أن نقوم بإهداء الغير هدية نعبر بها عن حبنا له، لتزداد المودة بين الطرفين؛ لذلك كان الرسول ﷺ يقبل الهدية – ولو من غير مسلم- ويكافئ عليها، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها (١).

- وقال ﷺ: " تهادوا تحابوا " (٢)
- أن ملك " أيلة " أهدى للنبي ﷺ يوم تبوك بغلة بيضاء فقَبِلها. (٣)
- أن أكيدر دومة الجندل (٤) – وكان نصرانيا –ي الجنة أحسن من هذا " (٥).
- جاء في المغني " ويجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب؛ أهدى للنبي ﷺ ثوب حرير، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منه، فقال: والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ ف لأن النبي ﷺ قبل هدية المقوقس صاحب مصر (٦)، وكان عظيم القبط، ويروى " أن رسول الله ﷺ لما كتب إليه مع حاطب بن أبي بلتعة، أكرم حاطبا وأحسن إليه، وكتب معه إلى رسول الله ﷺ، أني قد علمت أن نبيا قد بقي، وأني كنت أظن أنه يخرج

(١) سنن الترمذي باب ما جاء في قبول الهدية والمكافأة عليها ج٤ ص٢٣٨، والبخاري كتاب الهبة ١٣٣/٣.

(٢) الموطأ – مالك بن أنس- كتاب حسن الخلق صـــ٩٠٨ – ورواه البخاري في الأدب المفرد.

(٣) البخاري – الزكاة ٥٤، ١٣٢/٢ – صحيح مسلم الفضائل ١٧٨٥/٤.

(٤) بلد في شمال شبه الجزيرة قرب تبوك – وأكيدر ملكها وهو من كندة (فتح الباري ٢٣١/٥)

(٥) صحيح البخاري الهبة ٢٦١٥ – ١٤١/٣٠ – صحيح مسلم فضائل الصحابة ١٩١٦/٤.

(٦) ج١٠ صـــ٥٦٦.

بالشام، وأهدى إليه مارية التي ولدت له إبراهيم، وبغلة، وأشياء سوى ذلك [1]، فقبلها رسول الله ﷺ [2].

مما سبق يتضح أن الرسول ﷺ، بين لنا أهمية التهادي بين الأقارب والأصدقاء وغيرهم، وقد ضرب لنا ﷺ القدوة الحسنة في ذلك فقد قبل هدية غير المسلمين ورد الهدية بمثلها أو بأحسن منها؛ فعلينا أن ننتهز الفرصة للتعبير عن المحبة والإخاء للأقارب والأصدقاء والجيران، وذلك بتقديم هدية لهم، وبخاصة في المناسبات، كما علينا أن نقبل الهدية، ونثيب عليها بمثلهاأو بأحسن منها اقتداء بما فعله الرسول ﷺ، لتزداد أواصر الإخاء الإنساني بين الجميع، وبخاصة بين أفراد الأسرة الواحدة؛ بين الزوجين والأولاد والوالدين، وغيرهم من باقي أفراد العائلة قربت أو بعدت درجاتهم في القرابة.

٥- المجادلة بالتي هي أحسن:

من يتتبع آيات القرآن الكريم يجدها تتضمن أوامر للرسول ﷺ بأن يدع إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل المشركين بالحسنى وفي ذلك تعليم أيضا لعباده في كيفية الرد على من يجادلهم تعنتا ومراء، وأن تكون المجادلة دائما بالحسنى اقتداء برسول الله ﷺ، ومن ذلك قوله تعالى: " ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ " سورة النحل/١٢٥، ١٢٦

وذكر القرطبي في تفسيره لهاتين الآيتين[3]:

" أن هذه الآية فيها أمر للنبي ﷺ أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يعظ المسلمون إلى يوم القيامة، وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: إنما نزلت هذه الآية فيمن أصيب بظلامة ألا ينال من ظالمه إذا تمكن إلا مثل ظلامته لا يتعداه إلى غيره، قال تعالى: " وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا

(١) أهدى إليه طبيبا فرده وقال لا حاجة لنا به، وأهدى إليه عسلا وجارية أخرى يقال لها سيرين أهداها لحسان بن ثابت ﷺ.

(٢) الأموال – أبي عبيد القاسم بن سلام صـــ٢٤٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ صـــ٢٠٠، ٢٠١.

تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾" سورة الحج/٦٩

ويأمرنا الله ﷻ بمجادلة أهل الكتاب بالحسنى، ومحاولة إقناعهم بالحق والصواب بطريقة هادئة، وعدم تسفيه عقيدتهم أو الطعن فيها، قال تعالى: " وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾" سورة العنكبوت/٤٦

(قال مجاهد: هذه الآية محكمة، فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، على معنى الدعاء لهم إلى الله ﷻ، والتنبيه على حججه وآياته، رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة)[1].

- ثم نشير أخيرا إلى آية قرآنية تؤكد أدب الحوار والمجادلة مع غير المسلمين وتأمر المسلمين بألا يسفهوا عقيدة غيرهم ولا يسبوا آلهتهم، لأن ذلك يزيدهم إصرارا وعنادا، ويدفعهم إلى سب عقيدة وإله المسلمين والأمر في هذه الآية للرسول ﷺ وللمسلمين جميعا، في كل العصور والأزمان، فحكمها باق إلى عصرنا هذا، رغم أنه ورد في أسباب النـــزول: أن ابن عباس قال: قالت كفار قريش لأبي طالب: إما أن تنه محمداً وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها، وإما أن نَسُب إلهه ونهجوه، فنزل قوله تعالى: " وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾" سورة الأنعام/١٠٨

فرغم اقتناعنا ويقيننا أن غير المسلمين يؤمنون بعقيدة باطلة، إلا أننا لا نترجم شعورنا هذا، إلى تصرفات تسفه عقائدهم أو الهجوم عليهم أو على أفكارهم، بالقول أو الفعل.

وأذكر أخيراً مثالا طيبا للمجادلة بالحسنى، فيما سمعته من أن رجلا نصرانيا متعصبا دخل على الشيخ محمد عبده وسأله: كيف كان وجه السيدة عائشة عندما ذاع عنها حديث الإفك في المدينة ؟ أجابه الإمام محمد عبده على الفور:

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٢ صـــ٣٥٠.

كان وجهها مثل وجه السيدة مريم، حين أتت قومها تحمله.

وذكر لي الدكتور/ الحسيني أبو فرحة [1]، أنه كان في زيارة لبلدته في الريف يوماً ما، يجلس مع مجموعة من الأقارب، وفجأة انبرى أحد الجهلاء ليقلل من شأنه ومن أسرته – وذلك عندما رأى الترحيب الكبير به والرفع من شأنه – إلا أن الدكتور/ الحسيني أشاد بهذا الرجل وأسرته، ومدحهم بما هم فيه، وترك النقائص، فما كان من الرجل إلا أن تأثر جداً من موقف الدكتور/ الحسيني واعتذر عما بدر منه، وعادت الجلسة إلى صفائها وبهجتها، نتيجة حسن تصرف الدكتور/ الحسيني وعدم مواجهة الجاهلين بالمجادلة أو الهجوم.

٦– حسن التعامل مع أبناء الوطن الواحد:

شريعة الإسلام باعتبارها آخر الشرائع جاءت بتنظيم كافة علاقات الفرد بغيره من الناس، إجمالا أحيانا وتفصيلا أحيانا أخرى، والنبي الكريم سيدنا محمد ﷺ آخر الأنبياء، نزل عليه جبريل الأمين بهذه الشريعة الغراء لتبين للناس الحق والصواب وتنهاهم عن الباطل والخطأ، وتهديهم إلى صراط الله المستقيم.

ومن ضمن ما نظمته الشريعة الإسلامية الغراء، تنظيم العلاقة بين أفراد الوطن الواحد، حتى لا يتعدى طرف على طرف آخر، فيخطىء في حق نفسه وفي حق غيره.

ولنا في رسول القدوة الحسنة، أن الرسول ﷺ في معاملته للناس جميعا إنما ينطلق من منهج واحد لا يتغير، قوامه الصدق والأمانة والعفو والرحمة والتسامح والرفق والعدل.. إلى غير ذلك من الصفات الحميدة وما حاد الرسول ﷺ عن العفو والرحمة والتسامح إلا في حالات نادرة لأشخاص يستحقون العقاب لجرائم ارتكبوها تقتضي معاقبتهم بما كسبت أيديهم.

ويدعو الرسول ﷺ إلى حسن معاملة الغير واستمرار الألفة معهم فيقول ﷺ: " إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون"[2]

فالدين واحد لا تختلف أصوله باختلاف الأمم وأحوالها وأزمانها وأمكنتها، وإنما الذي يختلف باختلاف ذلك هي الأحكام الفرعية، يشير إلى ذلك قوله تعالى:" **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا**

(١) عميد كلية الدراسات الإسلامية الأسبق بجامعة الأزهر الأسبق "رحمه الله".

(٢) رواه الطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر.

نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ... ﴿٦٤﴾" سورة آل عمران/٦٤

وما ذكرناه من النصوص القرآنية وبيان حسن معاملة الرسول ﷺ لجميع الناس يكفي لبيان اهتمام الإسلام بالإنسان، لمجرد أنه إنسان، بصرف النظر عن أية اختلافات في الجنس أو اللون أو الدين، وأن الله كرمه ورزقه من الطيبات وفضله على كثير من مخلوقاته، ولذلك فالحفاظ على كرامة كل إنسان وعلى كافة حقوقه – كغيره من باقي البشر – دون إعلاء شخص على آخر، أو انتقاص من حقوق أحد لمصلحة طرف آخر، هو من مبادئ الإسلام العامة، التي تحترم كرامة كل إنسان، فلا يُعامل غير المسلم معاملة أدنى من المسلم، بل رأينا أن الإسلام يحافظ على حياة الحيوان، ويأمر بحسن معاملته، حتى أثناء الذبح الحلال، الذي أمر به الله، فما بالك بالإنسان الذي كرمه ربه ونفخ فيه من روحه، وجعله خليفة في الأرض.

والعديد من آيات القرآن الكريم، تضع الإطار العام بل والخاص في حسن التعامل مع غير المسلمين المواطنين وغيرهم، وما ورد عن الرسول ﷺ من أحاديث قولية أو فعلية، توضح التطبيق الفعلي لحسن التعامل.

ومن الآيات التي تضع الإطار العام للتعامل مع غير المسلمين، قوله تعالى:

" لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾"سورة الممتحنة/٨، ٩

فكتب السيرة النبوية وأحاديث الرسول ﷺ فيها الكثير من الروايات الصحيحة التي تؤكد حسن معاملة الرسول ﷺ والصحابة ﷺ، لغير المسلمين، رغم ما لاقوه من سوء معاملة وأذى شديد، وبخاصة في السنين الأولى من الدعوة، حتى بعد هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة، استمرت العداوة من مشركي مكة ومن اليهود، كلما وجدوا قوما يعملون ضد المسلمين ويعدون العدة لقتالهم وحربهم، انضموا إليهم، لمحاولة القضاء على المسلمين.

والشريعة الإسلامية تدعو أبناء الوطن الواحد أن يكون تعاملهم مع بعض بالأخوة الإنسانية أي بالصدق والأمانة والمعاملة الحسنة أي بما يستلزمه الإنسان من حسن معاملة أخيه الإنسان، حتى ينتشر السلام بين جميع أفراد المجتمع وتزول العداوات والبغضاء، وتتحقق عوامل النجاح والتقدم في الوطن، في كافة المجالات الاقتصادية والعلمية والخُلقية وغيرها من مجالات العلوم والمعرفة والتقدم.

٧- الاستعانة بغير المسلمين:

- هناك روايات كثيرة في كتب السيرة عن تعامل الرسول ﷺ واستعانته بغير المسلمين، ونشير هنا إلى مثال له أهمية خاصة؛ لأنه كان في فترة تصميم قريش على التخلص من الرسول ﷺ ووضعوا جائزة كبيرة تصل إلى مائة من الإبل لمن يدلهم عليه، ومع ذلك فإن الرسول ﷺ، عندما اختار دليلا له ولأبي بكر ﷺ، لم يختر مسلما، إنما اختار عبد الله بن أُرَيْقط وكان مشركا فلم يكن قد آمن برسالة الإسلام ولكن الرسول ﷺ آنس منه الخبرة بالطريق، والأمانة التي تدعوه إلى عدم خيانة من يستعينون به وقد دفع إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

وكان الرسول ﷺ يستعين بكاتب يهودي، ليتسنى له أن يبعث من الرسائل بالعبرية والسريانية ما يريده، مع ما قد يكون في هذه الرسائل من الأسرار التي لا يرغب في أن يعرفها سوى المرسل إليه، وقد استمر ذلك سنوات و لم يتغير إلا بعد إجلاء بني النضير عن المدينة، فخشي الرسول ﷺ أن يستعمل في أسراره غير مسلم، فأمر زيد بن ثابت ﷺ أن يتعلم هاتين اللغتين، وتروي كتب السيرة أنه تعلمهما في فترة وجيزة، وأصبح هو كاتب سر النبي ﷺ في كل شئونه وهو الذي جمع القرآن في خلافة أبي بكر ﷺ، وهو الذي عاد فراقب الجمع حين اختلفت القراءات في خلافة عثمان، فوضع مصحف عثمان، وأحرقت سائر المصاحف.(١)

- وهناك روايات أخرى عديدة وردت في كتب السيرة تؤكد هذا المعنى يمكن الرجوع إليها.

مما سبق يتضح أن الرسول ﷺ استعان أحيانا بغير المسلمين في بعض الأمور التي تحتاج إلى خبرة، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة، فيجب أن يتعاون جميع أفراد المجتمع مسلمين وغير مسلمين، مع بعضهم، فيما يحتاجونه من مختلف الأمور التي تقتضي طلب المساعدة من الآخرين؛ وبخاصة للذين اكتسبوا خبرات معينة، لا تتوافر لكل الناس.

٨- الأكل من طعام أهل الكتاب:

الإنسان اجتماعي بطبعه، أي أنه يميل إلى الاختلاط بغيره من الناس والحديث معهم والجلوس إليهم، ومشاركتهم في نزهاتهم وسفرهم ومؤاكلتهم، أي الاجتماع على طعام واحد والأكل منه جميعا؛ لذلك فإن تحريم

(١) حياة محمد – أ. محمد حسين هيكل صـ٣١٢.

الحيوانات أو الطيور التي لم تذبح و لم يسم عليها اسم الله، كان سيمنع المسلمين من مشاركة غير المسلمين في طعامهم لأنهم لا يلتزمون بذلك؛ لذلك فإن الله ﷻ قد خفف عن الأمة الإسلامية، حرصا منه على توطيد الصلة بين كافة أفراد المجتمع مسلمين وغير مسلمين والمحافظة على العلاقات والمعاملات الإنسانية بينهم، فقال تعالى: "ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡ... ۝" سورة المائدة/٥

ذكر ابن قدامة [(١)] " أجمع أهل العلم على إباحة ذبائح أهل الكتاب لقوله تعالى:

".. وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ... ۝"سورة المائدة/٥

وقال عطاء: كُلْ من ذبيحة النصراني وإن قال باسم المسيح؛ لأن الله ﷻ قد أباح ذبائحهم، وقد عَلِمَ ما يقولون.

ونظراً لأن بعض المسلمين كانوا يتحرجون من الأكل في آنية غير المسلمين فقد يسر الرسول ﷺ للمسلمين ذلك الأمر، فقد روى عن أبي ثعلبة قال: سئل رسول الله ﷺ عن قدور المجوس فقال: أنقوها غسلا واطبخوا فيها، ونهى عن كل سبع ذي ناب [(٢)].

وعن أبي ثعلبة الخُشَنِى أنه قال: يا رسول الله؛ إنا بأرض أهل الكتاب فنطبخ في قدورهم ونشرب من آنيتهم ؟ فقال رسول الله ﷺ: " إن لم تجدوا غيرها فارحضوها [(٣)] بالماء [(٤)]".

وعن قبيصة بن هلب، عن أبيه قال: سألت رسول الله ﷺ عن طعام النصارى، فقال: (لا يختلجن [(٥)] في

(١) المغني جـ١١ صـ٣٥.

(٢) أي الحيوانات المفترسة التي تأكل اللحوم.

(٣) أي: اغسلوها.

(٤) الحديثان رواهما الترمذي ج٤ صـ٢٥٥، ٢٥٦.

(٥) أي: لا يتحرك في صدرك شيء من الريبة والشك.

صدرك طعام ضارعت فيه نصرانية)[1] .

والسماح بمؤاكلة أهل الكتاب، يقتضي زيارتهم والأكل والشرب معهم، والتعامل معهم بكل صور التعامل الحلال، لكن بطبيعة الحال عدم مشاركتهم في أكل لحم الخنزير أو شرب الخمر، لأنهما حرام على المسلم فلا يجوز له الأكل أو الشرب منها بأي حال من الأحوال.

٩- المحافظة على مصالح الذميين:

من الأمور المتفق عليها بين جمهور الفقهاء، أن هناك مقاصد عامة يجب المحافظة عليها لجميع الناس؛ لأنها تحقق لهم منافعهم وتدفع عنهم المفاسد، وهذه المقاصد العامة ضرورية، لأنها لا يمكن الاستغناء عنها في قيام المجتمع، بحيث " إذا فقدت اختل نظام الحياة وعمت الفوضى وانتشر الفساد. وهذه الأمور الضرورية خمسة، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال"[2] .

وهذه الأمور الضرورية تتم المحافظة عليها لجميع مواطني الدولة، فقد رأينا أن الإسلام يحمى حرية العقيدة لغير المسلمين فلهم حرية اختيار عقيدتهم وممارسة شعائر دينهم، ولا يجوز إكراههم على ترك عقيدتهم واعتناق الإسلام.

فعقد الذمة يقضي بأن يلتزم المسلمون باحترام أنفسهم وأموالهم وأعراضهم فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

" من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام "[3]

وتقطع يد المسلم لو سرق مال الذمي، ويقام عليه حد الزنا إذا اعتدى على عرضه بالزنا، فهم يتمتعون في دار الإسلام بما يتمتع به المسلمون من حقوق كما أن عليهم من واجبات ما على المسلمين، وقد أرسى هذه القاعدة رسول الله ﷺ حين قال: " لهم ما لنا وعليهم ما علينا" فما أعظم تعاليم هذا الدين وأعظم سماحته، بل إن الإسلام يمنحهم حقوقا ليست للمسلمين فأجاز لهم التعامل والانتفاع في الخمر والخنـــزير وهي أموال ضمنها بالنسبة لهم،

(١) سنن ابن ماجة – كتاب الجهاد – باب الأكل في قدور المشركين ج ٢ صـــ٩٤٤.

(٢) أصول الفقه الإسلامي – زكي الدين شعبان – صـــ٣٨٢.

(٣) المعجم الأوسط جـــ١ صـــ١٣٧ رقم ٤٣١.

فأي سماحة تضاهي سماحة الإسلام في معاملته لأهل الذمة واحترامه لأنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وأباح التعامل معهم بكل أنواعه بيعا وشراء ورهنا، وسائر التصرفات في إطار ما أجازته الشريعة الإسلامية.

كما حافظ الإسلام على نفس غير المسلم ومنع الاعتداء عليه، وجعل عقوبة الاعتداء عليه كعقوبة الاعتداء على المسلم.

وحرم الإسلام كل المأكولات أو المشروبات التي تؤثر على صحة الإنسان وعلى عقله كلحم الخنزير وشرب كل المخدرات والمسكرات التي تذهب بالعقول – وكذلك المفترات[1] – إلا أنه لم يعاقب غير المسلم على تناولها لاعتقاده بعدم حرمتها، وتركه ليقرر بنفسه ما فيه مصلحته، وبخاصة عند معرفة الاكتشافات العلمية التي أكدت الأضرار الصحية العديدة التي يُصاب بها آكل لحم الخنـــزير، وكذلك مشاهدة ما تفعله الخمر بعقول شاربيها وبصحتهم.

الحفاظ على حقوق المرأة:

كفل الإسلام للمرأة حقوقاً متساوية مع الرجل، ولم يختصها بمعاملة أدنى أو حقوقا أقل ولم يكلفها بواجبات ترهقها، أو تمس أنوثتها أو يعرضها لمخاطر أو مواقف تسيء إليها، ولم يقرر التفاضل بينها وبين الرجل إلا في بعض الأمور التي اقتضتها طبيعة كل من الرجل والمرأة والاستعداد الفطري لكل منهما، وما اكتسبه كل منهما من خبرة في مجال معين، فإذا كان هناك اختلاف في ذلك فإن التفاوت بينهما يكون بحسبه فقط، أما إذا تساويا في خبرات أو مجالات معينة، فإن المجال أمامهما يكون متساويا، ونشير فيما يلي إلى موقف الإسلام العادل من المرأة، والنظام المتكامل الذي وضعه الإسلام لحقوقها وواجباتها في الحياة العامة وفي مجال الأسرة، فيما يلي:

١- حرم الإسلام ما كان شائعا من " وأد البنات " وطمأن الآباء أن الله ﷻ تكفل برزق الأبناء وبرزق آبائهم وذلك في قوله تعالى:

- " وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ " سورة الإسراء/ ٣١

- " وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ.. ﴿١٥١﴾ "سورة الأنعام/ ١٥١

(١) كالسجائر، لأنها تفتر الجسم أي توهنه، ومن يرد دليلاً على ذلك فليدخن سيجارة عند القيام من النوم وهو واقف، فسيجد أنه بحاجة للجلوس لإحساسه بعدم الاتزان.

- " وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ " سورة التكوير/٨، ٩

٢- شجع على الزواج من الفقيرات، عندما رأى إعراض بعض ذوي الثراء عن الزواج منهن، وذلك بقوله تعالى: "وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ " سورة النور/٣٢

٣- ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الإنسانية، وأكد أن المرأة من جنس الرجل وأن الرجل من جنس المرأة، فقال تعالى:

- " فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ.. ﴿١٩٥﴾ "سورة آل عمران/١٩٥

- " لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ.. ﴿٣٢﴾ " سورة النساء/٣٢

وقال ﷺ: (إن النساء شقائق الرجال) (١).

٤- كما ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الجزاء على العمل ويشملها الثواب والعقاب فقال تعالى:

- " وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ " سورة النساء/١٢٤

- " مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ "سورة النحل/٩٧

- "إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ

(١) رواه الترمذي جـ١ ص١٨٩ رقم ١١٣.

وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ " سورة الأحزاب/٣٥

٥- أهلية المرأة للتملك والميراث وذلك في قوله تعالى في سورة النساء:

"لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾"

وقد حرصت الشريعة الإسلامية على بيان أحكام المواريث تفصيلا؛ لحرصها التام على أن يحصل كل وارث على نصيبه العادل من تركة مورثه، وذلك بعد أن اختلفت كثير من الأمم القديمة والحديثة في كيفية تحديد نصيب كل وارث منذ قدماء المصريين والرومان واليونان، بل ويختلف هذا النصيب في البلد الواحد من وقت لآخر وفقا لما يعتقده المشرعون أنه يحقق العدل والصواب.

وقد جعل الإسلام للمرأة سواء كانت أما أو بنتا أو أختا أو زوجة نصيبا مفروضا خالصا لها، وهذا النصيب يقل أحيانا عن نصيب الرجل، لأن الرجل مسئول عن الانفاق على المرأة وعلى الأولاد واحتياجات الأسرة وليست هي مسئولة عن ذلك حتى ولو كانت أكثر منه ثراء، كما أنها ليست مسئولة عن الإنفاق على والديها وأخواتها إنما مسئولية ذلك دائما هي على عاتق الرجل.

٦- لم يحملها مسئولية القوامة في الأسرة؛ مراعاة لضعفها عن الرجل وصونا لها عن مواجهة صعاب الحياة، وترك لها بحكم طبيعتها واستعدادها الفطري المساعدة في تربية الأولاد وتنشئتهم التنشئة الصحيحة فقال تعالى:

" ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ..

﴿٣٤﴾ " سورة النساء/٣٤

٧- الإسلام أعطى المرأة الحق في اختيار زوجها، بعدما كان الرجل يزوج ابنته ممن اختاره هو دون أخذ رأيها أو برغم معارضتها، لقول الرسول ﷺ: (لا تنكح الثيب حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن وإذنها

الصموت)[1] وروى البخاري: (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا يا رسول الله: وكيف إذنها ؟ قال: أن تسكت)[2].

والإسلام يتضمن العديد من الأمثله على الاعتداد برأي المرأة في الزواج، أو في العودة لعصمة الزوج بعد الطلاق، فعن ابن عباس أن مغيثاً كان عبداً فقال: يارسول الله اشفع لي إليها، فقال رسول اللّه ﷺ: "يا بريرة؛ اتقي اللّه فإنه زوجك وأبو ولدك" فقالت: يارسول الله: أتأمرني بذلك؟ قال: "لا، إنما أنا شافعٌ" فكان دموعه تسيل على خده، فقال رسول اللّه ﷺ للعباس: "ألا تعجب من حبِّ مغيثٍ بريرة وبغضها إياه؟"[3].

٨- فرض الإسلام للزوجة مهراً، ليكون عطاء مبتدأ من الزوج لها، وحذر الزوج من أن يأخذ منه أي شيء إلا بموافقتها، قال تعالى في سورة النساء: "وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤ "

كما فرض على الزوج النفقة لزوجته من مأكل وملبس وعلاج، وقد جرى العرف في بعض البلاد الإسلامية أن المرأة تساهم بالمهر في تأثيث بيت الزوجية، وهذا التصرف من المرأة أو أوليائها هو تصرف تطوعي لا يأمر به الإسلام، لذلك فإذا احتفظت المرأة بالمهر كتأمين لها ولإنفاقه في أمور خاصة بها فلا تثريب عليها، وهو حق خالص لها.

الأخوة الإنسانية تدعو إلى خُلُق الرحمة:

الرحمة من صفات الله تعالى، التي بدأها في محكم كتابه بالبسملة " بسم الله الرحمن الرحيم " وتكررت في سورة الفاتحة " الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم " وتكررت كلمة الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، ويكفي أن نشير إلى قوله تعالى:

(١) رواه الترمذي جـ٣ ص٤١٥ رقم ١١٠٧.

(٢) جـ٥ ص١٩٧٤ رقم ٤٨٤٣.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الطلاق برقم ٢٢٣١.

- كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ... ﴿١٢﴾ سورة الأنعام/١٢
- قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ... ﴿١١٠﴾ سورة الإسراء/١١٠
- وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ سورة الأنبياء/١٠٧

لذلك فمن الطبيعي أن يكون النبي الخاتم والرسول الذي يرسله بخاتم شرائعه أن يكون رحمة للعالمين، بأقواله وأفعاله وتعاليمه التي جاء بها من لدن الله ﷻ.

" قال سعيد بن جبير عن ابن عباس:

كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس، فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سَلِمَ مما لحق الأمم من الخسف والغرق "[1] ويتأكد هذا المعنى بقوله تعالى: " وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم... "

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:

" من لا يرحم لا يُرحم "[2]

وهذا نص عام يشمل الدعوة إلى الرحمة بالإنسان والحيوان بل حتى الجماد، وعندما نقول الإنسان فهو يشمل كل إنسان مهما اختلفت ديانته أو جنسيته أو لونه أو عقيدته، بل إن من ضلت عقيدته وأظلم تفكيره، يحتاج لتقويم إعوجاج سلوكه إلى توجيه النصيحة إليه بالحجة والبرهان الصحيح، ويحتاج إلى شئ من الرحمة واللين في المعاملة، حتى لا نعين الشيطان عليه، فيتمسك بالخطأ وينحرف عن طريق الصراط المستقيم.

ولنا أن نأخذ العبرة والقدوة فيما ورد من قصص القرآن الكريم، عندما أرسل الله ﷻ موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون لدعوته إلى الهدى والإيمان بالله، قال تعالى: ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ سورة طه / ٤٣، ٤٤

فالله ﷻ أمرهما بأن يأمرا فرعون بالمعروف وينهياه عن المنكر، وأن ذلك يكون باللين من القول، وذلك لمن

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ ١١ صـ ٣٥٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، ومسلم في كتاب الفضائل.

معه القوة وضمنت له العصمة " وعلى هذا تكنية الكافر جائزة إذا كان وجيها ذا شرف وطُمع بإسلامه، وقد يجوز ذلك وإن لم يُطمع بإسلامه؛ لأن الطمع ليس بحقيقة توجب عملا، وقد قال ﷺ " إذا أتاكم كريم فأكرموه " و لم يقل إن طمعتم في إسلامه، ومن الإكرام دعاؤه بالكنية. وقد قال ﷺ لصفوان بن أمية " أنزل أبا وهب " فكناه وقال لسعد: " ألم تسمع ما يقول أبوحُباب " يعني عبد الله بن أُبي " [1].

وقد استشهد أحد الولاة بالآيتين السابقتين عندما ذهب إليه أحد الدعاة وأغلظ له في القول فقال له الوالي: إن الله ﷻ أرسل من هو أفضل منك إلى من هو أسوأ مني فقال لهما "**فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**" سورة طه/٤٤.

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة، في رحمته بإنسانية المشركين، وعدم لعنهم أو الدعاء عليهم وقال: إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة " [2]، والعفو عنهم عند وقوعهم أسرى لديه، بدءا من غزوة بدر وما تلا ذلك من غزوات، ثم إلى العفو الأكبر الشامل لمشركي مكة عندما دخلها رسول الله ﷺ وقال لهم: " اذهبوا فأنتم الطلقاء ".

روى الإمام مسلم أن هشام بن حكيم مر على أناس من الأنباط (فلاحو العجم) بالشام قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم ؟ قالوا: حبسوا في الجزية فقال هشام: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا " [3]

ورحمة الرسول ﷺ بغير المسلمين وشفقته عليهم، أثرت في كثير منهم ودفعتهم للإسلام، والأمثلة على ذلك عديدة، نشير منها، ما روي عن أبي بكر أنه جاء بأبيه إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه النبي ﷺ قال:

" هلا تركت الشيخ بمكانه حتى أكون أنا آتيه قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ١١ صـ١٩٩، ٢٠٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة ٢٠٠٦/٤، ٢٠٠٧.

(٣) صحيح مسلم كتاب البر والصلة ٢١٠٧/٤، ٢٠١٨، وأبو داود – كتاب الخراج باب التشديد في جباية الجزية ٣٠٤٥، ١٦٩/٣.

إليه أنت: فأجلس النبي الشيخ بين يديه ومسح صدره ثم قال: أسْلِمْ فأسلم وحسن إسلامُه".[1]

ورحمته صلى الله عليه بالحيوان، ثبتت بكثير من السنن القولية والفعلية، نكتفي منها بما رواه شداد بن أوس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إن الله كتب الإحسان على كل شئ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته ".[2]

وكذلك من الأحاديث المشهورة عن الرسول ﷺ ما ورد عن المرأة التي دخلت النار لحبسها قطة حتى ماتت من الجوع والعطش، وآخر دخل الجنة لسقيه كلبا كان يلهث من العطش، قال ﷺ[3]: " عُذبت امرأة في هرة، سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ".

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال[4]: "بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثلُ الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه بالماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له".

قالوا: يا رسول الله وان لنا في البهائم لأجرا ؟ قال: " في كل كبد رطبة أجر ".

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ " أن امرأة بغيا رأت كلباً في يوم حار يطيف[5] ببئر، قد أدلع[6] لسانه من العطش، فنزعت له بمُوقِها[7] فغُفِر لها "[8].

---

(١) حياة محمد – محمد حسين هيكل صـــ٤٢٦.

(٢) إتحاف الأنام بخطب الرسول ﷺ – محمد خليل الخطيب صـــ٢٠٩.

(٣) صحيح مسلم – كتاب السلام – باب تحريم قتل الهرة ج٤ ص١٧٦٠ (٢٢٤٢).

(٤) المرجع السابق ج٤ ص١٧٦١ – كتاب السلام – باب فضل ساقي البهائم وإطعامها (٢٢٤٤).

(٥) أي: يدور حولها.

(٦) أي: أخرجه لشدة العطش.

(٧) أي: استقت له من البئر، والموق: هو الخف.

(٨) صحيح مسلم ج٤ ص١٧٦١ كتاب السلام – باب فضل ساقي البهائم.

وعن ابن عمر قال: أمر النبي ﷺ وشدد بحد الشفار وأن نتوارى عن البهائم، وقال: " إذا ذبح أحدكم فليجهز ".

وعن الشريد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من قتل عصفوراً عبثا عج[1] إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثا و لم يقتلني منفعة"[2].

ويتأكد مما سبق أن البر والرحمة اللذين جعلهما الإسلام دعامة الإخاء الذي قامت الحضارة الإسلامية على أساسه لم يقف عند الإنسان فقط، بل عداهما إلى الحيوان كذلك؛ حيث كان الرسول ﷺ يقوم بنفسه فيفتح بابه لهِرَّة تلتمس عنده ملجأ، وكان يقوم بنفسه على تمريض ديك مريض، وكان يمسح لجواده بكمِّ قميصه، وركبت عائشة بعيرا فيه صعوبة فجعلت تردِّده؛ فقال لها: عليك بالرفق. وكذلك شملت رحمته كل ما اتصل بها، وأظلت كل من كان في حاجة إلى تفيؤ ظلالها[3].

ومن رحمته ﷺ؛ الإعراض عمن يعترف بذنب، رجاء أن ينصرف ويتوب إلى الله، فيستره، وتحسن توبته، ويغفرها الله له حتى إذ أصر المذنب على الاعتراف وتحمل العقوبة ليتطهر من الذنب أوقع العقوبة عليه مع إتاحة الفرصة له دوما، للتراجع، ثم تكون الصلاة على المذنب بعد توقيع الحد عليه، رجاء رحمته من الله تعالى، فقد ورد عن أبي هريرة؛ قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: إني زنيت. فأعرض عنه. ثم قال: إني قد زنيت. فأعرض عنه ثم قال: إني زنيت. فأعرض عنه. ثم قال: قد زنيت. فأعرض عنه حتى أقر أربع مرات. فأمر أن يرجم. فلما أصابته الحجارة أدبر يشتد. فلقيه رجل بيده لحى[4] جمل. فضربه فصرعه. فذُكر للنبي ﷺ فراره حين مسته الحجارة. قال: فهلا تركتموه ".

وعن عمران بن الحصين؛ أن امرأة أتت النبي ﷺ فاعترفت بالزنا. فأمر بها فشُكَّت[5] عليها ثيابها. ثم رجمها ثم

---

(١) عج: ضج.

(٢) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه.

(٣) بتصرف من: حياة محمد – محمد حسين هيكل صـ٢٣١.

(٤) أي عظمه الذي تنبت عليه الأسنان.

(٥) أي: رُبطت وشُدت لئلا تنكشف عورتها عند الرجم.

صلى عليها[1].

وقد شملت رحمته ﷺ جميع الناس حتى الخدم من غير المسلمين، فقد ورد في البخاري عن أنس ﷺ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم"، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول:"الحمد لله الذي أنقذه من النار".

الإخاء الإنساني أساس الحضارة الإسلامية:

عندما تجمع الأنصار والمهاجرون في المدينة المنورة، بدأوا يشعرون للمرة الأولى بالأمن والأمان، في مجتمع جديد غالبيته من المسلمين، وتيسر الأمر للنبي محمد ﷺ أن ينشر تعاليم الإسلام، وليكون هو القدوة الفعلية والعملية لها، وليضع لهم أسس الحضارة الإسلامية ومبادئها التي تنطلق أساسا من الأخوة الإنسانية فلا فرق بين عربي وعجمي، ولا بين أبيض وأسود ولا بين غني وفقير... إلخ.

ودعامة الإخاء الإنساني البر والرحمة بالغير حتى لو اختلف معه في الدين أو الجنسية أو القبيلة، بل إن الرسول ﷺ أوصى بالرحمة بالحيوانات كما سبق أن ذكرنا.

وقد كان وجود الرسول ﷺ بين المشركين، أمان لهم من إهلاكهم كالأمم السابقة الذين كذبوا رسلهم فتم إهلاكهم إما بالريح أو بالغرق أو بالتدمير وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ...﴾ سورة الأنفال/ ٣٣

وهذا الأساس الذي وضعه الرسول ﷺ للحضارة الإنسانية يتلخص بصورة واضحة فيما رُوى عن على بن أبي طالب أنه سأل رسول الله ﷺ عن سُنته فقال:

" المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مَرْكَبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والفقر فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حَسَبي، والجهاد خُلُقي، وقرة عيني في الصلاة"[2].

(١) سنن ابن ماجه – كتاب الحدود – باب الرجم – صـ٨٥٤.

(٢) حياة محمد – محمد حسين هيكل – صـ٢٣٣.

كثير من النصوص القرآنية والنبوية تؤكد وحدة الإنسانية وأنها من نفس واحدة، ولذلك فلا تميز لشخص على آخر بسبب اللون أو الجنس أو الحسب أو النسب، فالإسلام يؤكد مساواة جميع الناس في القيمة الإنسانية المشتركة، وأن الله ﷻ خلق الإنسان الذكر والأنثى والأبيض والأحمر والأسود، وخلق الشعوب والقبائل دون تفاضل بينها، وأن الكرامة والتشريف التي منحها الله لبني آدم لم يمنحها لفئة دون أخرى، بل منحها للجميع، ولم يجعلهم جنسيات متعددة إلا للتعارف لا للتفاضل، ونشير فيما يلي إلى بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد هذه المعاني كما في قوله تعالى:

- وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ سورة الإسراء/٧٠
- فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ... ﴿١٩٥﴾ سورة آل عمران/١٩٥
- يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ سورة الحجرات /١٣
- يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴿١﴾ سورة النساء/١

ويقول الرسول ﷺ في خطبة الوداع باسناد صحيح من حديث سعد الجريري عن أبي نضرة:[1]

" يا أيها الناس ألا إن ربكم ﷻ واحد، ألا وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، وليس لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر، فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب." وروى هذا الحديث عن أبي نضرة عن جابر – وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح[2] " إن الله قد أذهب عنكم عُبَيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء: مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من

(١) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم – ابن تيمية – صـ١٣١.

(٢) المرجع السابق.

تراب "

الخطاب في كثير من الآيات القرآنية لجميع الناس، بدون تفرقة بين مسلم أو غير مسلم، وبخاصة إذا كانت مخاطبتهم لدعوتهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، ومحاولة إقناعهم بالإيمان ومن ذلك قوله تعالى:

- يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ... ﴿٢١﴾ سورة البقرة /٢١
- مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾ سورة النساء /٧٩
- يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ.. ﴿١٧٠﴾ سورة النساء /١٧٠
- وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ سورة سبأ/٢٨

وقال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: (١)

" أي ما أرسلناك إلا للناس كافة أي عامة، وقال الزجاج: أي ما أرسلناك إلا جامعا للناس بالإنذار والإبلاغ، والكافة بمعنى: الجامع. وقيل معناه كافا للناس، تكفهم عما هم فيه من الكفر وتدعوهم إلى الإسلام، لأن الله ﷻ واحد، والدين واحد لكل الناس، فالأنبياء والرسل الذين بعثهم الله ﷻ لمختلف الأمم، إنما يدعون إلى عبادة الله الواحد الأحد ونبذ ما سواه، ويأمرون بالعديد من الأحكام والمبادئ التي تدعو إلى فضائل الأعمال بما يحقق نشر ربوع العدل والإخاء والسلام بين جميع الناس، (فالدين واحد لا تختلف أصوله باختلاف الأمم وأحوالها وأزمانها وأمكنتها، وإنما الذي يختلف باختلاف ذلك هي الأحكام الفرعية، يشير إلى ذلك قوله تعالى:

(قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ... ﴿٦٤﴾) سورة آل عمران/٦٤، (إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٤ صـ٣٠٠.

أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ سورة النساء/ ١٦٣

جاء الرسول عليه الصلاة والسلام لتقرير الحق والاعتراف به وتذكير الناس أن يتمسكوا به، فما كان له أن يبطل حقا أو ينكر صالحا، أو يجحد نبيا، أو يستقبح حسنا ولكنه جاء مؤذنا فينا بأنه قد آمن بما أنزل الله من كتاب وأنه آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله غير مفرق بين أحد من رسله، كما أخبرنا عليه الصلاة والسلام بأن الله أوحى إليه أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا، وبأن من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا، فلم يأت النبي ﷺ ببدع من الشرائع ولكن بما قرره الله من الحق وأوصى به إلى أنبيائه من قبل)[1] .

وقد تساءل بعض المسلمين عن مدى جواز تبرع المسلم بدمه إلى بنك الدم الذي سيعطيه إلى أي مريض سواء أكان يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا أو صابئا أو غير ذلك. وهل يجوز أن يسعف المسلم المصاب بنزيف الدم من دم غير المسلم؟ ولماذا يستقبل بنك الدم المتبرعين غير المسلمين إذا لم يصح ؟

وقد كانت الفتوى – بحق – " من المقرر شرعا أن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل على التحريم، ولم نعثر على دليل بتحريم نقل الدم، بل هو عمل إنساني جليل يدعو إليه ديننا الحنيف لما فيه من إنقاذ حياة المريض. وكونه قد ينتقل إلى غير مسلم لا يجعله محرما لأنه إنسان والله ﷻ كرم الإنسان حيث قال: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ... ﴿٧٠﴾ سورة الإسراء/٧٠، ولذلك فلا مانع شرعا من التبرع بالدم إلى بنك الدم، لأنه فعل خير، والله ﷻ حث على فعل الخير وجعله من أسباب الفلاح بقوله تعالى: وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ سورة الحج/٧٧.

كما أن إسعاف المسلم المصاب بنزيف الدم من غير المسلم جائز ولا شئ فيه دينا، فعليه تتوقف حياة المسلم، وبه يتم إنقاذه من خطر الموت الذي يتهدده وفيه إبعاد له عن التهلكة التي أمرنا الله بتوقيها حيث يقول:... وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ... سورة البقرة/١٩٥، وإذا نظرت إلى أبناء الكتابية التي تزوجت بمسلم نجد أن أصل

(١) الإسلام دين الفطرة – عبد العزيز شاويش – صـ٤٣.

تكوينهم قد اختلط بدم غير مسلم، فالإسعاف بدم غير المسلم جائز، واستقبال بنك الدم للمتبرعين غير المسلمين لا خطر منه "[1].

وما ذكرناه من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية – وغيرها كثير- يكفي لبيان اهتمام الإسلام بالإنسان، بمجرد أنه إنسان، بصرف النظر عن أية اختلافات في الجنس أو اللون أو الدين، وأن الله كرمه ورزقه من الطيبات وفضله على كثير من مخلوقاته، ولذلك فالحفاظ على كرامة كل إنسان وعلى كافة حقوقه، كغيره من باقي البشر، – دون إعلاء شخص على آخر، أو انتقاص من حقوق أحد لمصلحة طرف آخر – هو من مبادئ الإسلام العامة، التي تحترم كرامة كل إنسان، فلا يُعامل غير المسلم معاملة أدنى من المسلم، بل رأينا أن الإسلام يحافظ على حياة الحيوان، ويأمر بحسن معاملته، حتى أثناء الذبح الحلال، الذي أمر به الله، فما بالك بالإنسان الذي كرمه ربه ونفخ فيه من روحه، وجعله خليفته في الأرض.

الإخاء الإنساني يدعو إلى التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع:

سبق أن رأينا التشريع الإسلامي، قد نظم كافة ما يحتاجه الإنسان في أمور عباداته ومعاملاته مع الغير من النواحي الإنسانية والمالية، وقد جاءت هذه الأحكام إجمالية أحيانا وتفصيلية أحيانا أخرى، عندما يقتضى الأمر ذلك، حتى لا تتركها لاجتهادات الناس وتجاربهم التي قد تصيب أحيانا وتخطئ أحيانا أخرى.

وقد فرض الإسلام الزكاة على الغني القادر وجعلها ركنا من أركانه الخمسة وتطهيرا لأمواله، حقا للفقير، لمساعدته على تلبية متطلباته من مأكل وملبس ومشرب وغير ذلك مما يحتاجه هو وأسرته ولتحقيق مزيد من المحبة والألفة بينهم وبين الفقراء.

ولم يكتف الإسلام بالزكاة، بل حث المسلمين على التصدق من أموالهم، بعد أداء الزكاة، كلما وجدوا أن هناك من يحتاجون بعض الأموال، لمواجهة متطلبات المعيشة لهم ولأسرهم، وضاعف الله ﷻ ثواب الصدقات، حثا عليها وترغيبا فيها.

ولم يقصر الإسلام العطاء على المسلمين فقط، بل " فرض للعجزة من أهل الذمة ما يكفيهم من مال، فقد فرض عمر بن الخطاب لهم من بيت المال وذلك عندما رأي رجلا كبيرا ضريرا من اليهود يسأل الناس، فقال له: ما

(١) الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة – عبد الرحمن عبد الوهاب الفارسي صـــ٤٠٨، ٤٠٩.

حملك على ذلك؟ قال: الحاجة إلى دفع الجزية، وحاجة العيال، فقال: ما أنصفناه، أكلنا شبيبته وضيعناه عند الهرم، ثم أمر برفع الجزية عنه، وأن يعطى وعياله ما يكفيهم من بيت المال طول مدة إقامتهم بدار الإسلام.

وفي بعض الروايات أنه كتب إلى خازن بيت المال يقول له: انظر إلى هذا وضرائه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته، ثم نخسره عند الهرم، إنما الصدقات للفقراء والمساكين، وهذا من مساكين أهل الكتاب، ثم وضع عنه وعن ضرائه الجزية.

وقد مر عمر بن الخطاب وهو في طريقه إلى الشام براهب نصراني مريض بالجذام، فأمر بإعطائه من بيت المال ما يكفي حاجته على الدوام.

وجاء في العهد الذي كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة في عهد أبي بكر، لما قبلوا دفع الجزية، بشأن من افتقر منهم:

" وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام، فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم" (١).

والإسلام في سعيه للتضامن الاجتماعي بين الناس جميعا، " يُحرم كافة صور الاستغلال والاغتصاب بكل أشكاله والاحتكار بكافة ألوانه، وحرص على إذابة الفوارق المادية بين الناس والتقريب بين الطبقات التي باعد المال فيها بين الإنسان وأخيه، فقرر الزكاة وهي حق معلوم يجب أن يؤدى في كل ما يملكه الإنسان — إذا بلغ النصاب- بنسبة مئوية يعطيها للفقير والمسكين والمحتاج، لا على أنها صدقة، بل على أنها حق واجب الأداء، فلا يخدش بذلك حياء الفقير ولا تهان بها كرامة المحتاج " (٢).

الإخاء الإنساني يقتضي عدم الاعتداء على الغير أو الإضرار به أو ظلمه أو خيانته:

أصبح مفهوم " الإرهاب " في العصر الحديث، له معنى سيء جداً؛ حيث ارتبط معنى هذه الكلمة " في أذهان الناس بمعنى ترويع الآمنين وتخريب العمران، بغض النظر عمن توجه إليهم الضربات الإرهابية وتفزعهم وهذا النوع من

(١) بتصرف من: المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي- محمد مصطفى شلبي صـ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) بتصرف من: التعريف بالإسلام — عبد الرزاق نوفل صـ٦٧.

أنواع الإرهاب هو الذي يرفضه الإسلام شكلا وموضوعا[1] إذ لا يحل لمسلم أن يروع، أما معنى " الإرهاب " في قوله تعالى: وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ.. ﴿٦٠﴾ سورة الأنفال/٦٠، فإنه أقرب ما يكون إلى الردع، أي أن العدو إذا علم أنك ستلحق به الهزيمة، وأنك أعددت له العدة حدث له من الخوف ما يمنعه من المحاربة وإلحاق الأذى بالمسلمين، والخلاصة؛ أن الإرهاب إذا كان موجها لأهل الحرب من أعداء الله إخافة لهم فلا ضير فيه، وإنما هو أمر مطلوب، بل ومأمور به، وإن كان موجها للمسلم أو لغيره ممن ليسوا بأهل حرب فهو منهي عنه، ويعد من الأخلاق الذميمة التي لا يرتضيها الدين الحنيف.

فالإرهاب نوعان: **محمود ومذموم**

فأما المحمود: فهو ما استعمل في تخويف الفسقة والعصاة والمجرمين والكفرة والمشركين الذين يظهر نيتهم في الاعتداء على المسلمين لردعهم عما هم عليه وكف أذاهم عن الديار المسلمة.

وأما المذموم: فهو ما استعمله المجرمون والمعتدون من ترويع المواطنين أو الذميين أو المستأمنين وإزهاق أرواح المدنيين.[2]

والخلاصة أن الإعداد للقوة أفراداً وجماعات وعلى مستوى جيوش الأمة الإسلامية ليس بهدف الاعتداء على بلاد غير المسلمين، إنما هو لردع أي معتد عن التفكير في ممارسة اعتداءاته على ديار المسلمين، وقد أكد القرطبي هذه المعاني الطيبة وأشار إلى ذلك فقال:[3]

(ترهبون به عدو الله وعدوكم) يعني تخيفون به عدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب (وآخرين من دونهم) يعني فارس والروم وقيل: المراد بذلك كل من لا تعرف عداوته، "فإعداد القوة هو للدفاع عن الدين وتأمين الطرق أمام الدعوة الإسلامية، وفي الدفاع عن النفس والوطن، فهو جهاد في سبيل الله لا صلة له بأساليب القهر والسطو والاستعمار"[4].

مما سبق يتضح أن الإسلام لا يدعو إلى الاعتداء على الغير، إنما يأمر المسلمين بنبذ الضعف، والأخذ بأسباب

(١) بتصرف من نضرة النعيم ج٩ صـ٣٨٢٨، ٣٨٢٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ج ٨ صـ٣٨.

(٤) الأمن في الإسلام – د. أحمد عمر هاشم – صـ٢٦.

obeikandi.com

القوة فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير كما قال رسول الله ﷺ؛ إنما على مستوى الدولة، فإن الدولة الضعيفة تغري الغير من الدول ذوي النفوس الضعيفة، بالاعتداء عليها، ظلما وعدوانا، والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها واستباحة أراضيها. أما الأخذ بأسباب القوة فإنه يردع الغير ويمنعه من الإقدام على الاعتداء خوفا مما قد يصيبه من أضرار أكبر وأفدح، وبذلك يعيش المسلمون في أمن وسلام، بعدم اعتدائهم على الغير وعدم اعتداء الغير عليهم.

أما على المستوى الفردي فإن الإسلام يأمر كل شخص بعدم الاعتداء على الغير أو الإضرار به أو ظلمه أو خيانته، بل لو اعتدى عليه آخر، فيجب عليه عدم رد الاعتداء، إنما عليه أن يلجأ إلى السلطات في الدولة لتأخذ له حقه وفقاً للقانون، لأن محاولة كل إنسان القصاص من الغير بنفسه، سيؤدي إلى الفوضى وإلى انتشار الاعتداءات في سلسلة متوالية لا تنتهي، وصدقت الحكمة القائلة: (ليكن حظ أخيك منك ثلاثاً: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه).

النهي عن الاعتداء على الملكية:

كفل الإسلام المحافظة على ملكية كل الأفراد بالوطن وعاقب كل من يعتدي عليها؛ تأكيداً لحق كل شخص في التملك وأعطاه الحرية لتملك ما يحتاجه من منقولات وعقارات، بل إن بعض ما يمتلكه غير المسلم قد يكون حراما تملكه للمسلم، إلا أن الإسلام يحافظ على هذه الممتلكات للذمي ويمنع من الاعتداء عليها أو إتلافها كالخمر والخنزير، لأنها حلال في معتقداته، ويوجب العقاب على غاصب الخمر والخنزير المملوكين للذمي؛ لإقدامه على محظور، ويلزمه تعويض الذمي إن أتلف مالا له.

" ولذلك ذهب الحنفية إلى أن إتلاف خمر أو ذبح خنزير لمسلم لا يستوجب تعويضا، لأنهما ليسا بمال متقوم عندهم بالنسبة إليه، سواء أتلفها مسلم أم ذمي، أما إذا كان لذمي فإن على متلفهما الضمان مسلما أم ذميا لأنهما مال متقوم بالنسبة إليه.

وإذا أتلف المسلم خمرا لذمي وجب عليه قيمتها وإن كانت مثلية لأنه لا يستطيع أداء المثل إلا بعد تملكه، وهو لا يستطيع تملكه لنهي الشارع عن ذلك، أما إذا أتلفها ذمي فالواجب عليه مثلها لقدرته عليه، ولا يصار إلى القيمة إلا عند العجز عنه "[1].

النهي عن الاعتداء على الغير وعن الفساد والظلم والخيانة:

والأمر بعدم الاعتداء على الغير ورد في العديد من الآيات القرآنية نشير إليها فيمايلي:

(١) الضمان في الفقه الإسلامي – على الخفيف – صـ٣٩، ٤٠.

obeikandl.com

قال تعالى:

- ... وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ سورة البقرة/٢٠٥

- وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ سورة البقرة/١٩٠

- ... وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ سورة آل عمران/٥٧، ١٤٠

- .. وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ .. ﴿٢﴾ سورة المائدة/٢

- ..وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ سورة المائدة/٦٤

- .. وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ سورة المائدة/٨٧

- ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ سورة الأعراف/٥٥

- ... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ سورة الأنفال/٥٨

- وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ سورة القصص/٧٧

- فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ سورة الشورى/٤٠

- يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ .. ﴿٩﴾ سورة المجادلة/٩

ويلاحظ أن الله ﷻ في هذه الآيات القرآنية، قد أكد لنا معاني طيبة، وأمرنا بعدة أوامر نشير إليها فيما يلي:

- أن الله قرن الأمر بعدم الاعتداء، بعبارة تدعو العاقل إلى الابتعاد نهائيا عن العدوان والفساد والظلم والخيانة إذ إن الله ﷻ صرح بعدم محبته لمن يقترف هذه الأفعال، وهذا يعني حرمانه من محبته وعفوه ورحمته، وفي هذا خسران كبير.

- أن الله ﷻ عندما يأمرنا بالتعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان، فإن ذلك يدعو الناس جميعا إلى التعاون معا في جميع وجوه الخير، لأن البر والتقوى يشمل ذلك، وفي الوقت نفسه ينهاهم عن التعاون في جميع أنواع الشر، وقد ورد النهي عن " الإثم والعدوان " ليشمل النهي عن كافة الآثام والعدوان على الغير، وبذلك يغلق

openkanal.com

الله ﷻ أية طريق للتعاون على الشر كله، لأن عدم التعاون مع المعتدى قد تمنعه من الشروع في الاعتداء، أو يجعله يراجع نفسه، وينتهي عن الشر والفساد.

- بل إن الله ﷻ عندما يصرح بأنه لا يظلم مثقال ذرة، لجميع الناس بل ولجميع المخلوقات وذلك في قوله تعالى:

... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ.. ﴿٤٠﴾ سورة النساء/٤٠

فإن ذلك يدعو إلى التخلق بهذا الخلق النبيل، ليحاول العبد أن يكون عبدا ربانيا، جزاؤه الدرجات العلا من الجنة.

وقد ذكر القرطبي[1] عند تفسير قوله تعالى:

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ سورة البقرة/١٩٠

(قال ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومجاهد: هي محكمة، أي قاتلوا الذين هم بحالة من يقاتلونكم، ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم، وهذا أصح القولين في السنة والنظر، فأما السنة فحديث ابن عمر " أن رسول الله ﷺ رأى في بعض مغازيه امرأة مقتولة فكره ذلك، ونهى عن قتل النساء والصبيان"[2].

وأما النظر فإن " فَاعَلَ " لا يكون في الغالب إلا من اثنين كالمقاتلة والمشاتمة والمخاصمة، والقتال لا يكون في النساء ولا في الصبيان ومن أشبههم، كالرهبان والشيوخ والأجراء فلا يقتلون، وبهذا أوصى به أبو بكر الصديق ﷺ يزيد بن أبي سفيان حين أرسله إلى الشام، إلا أن يكون لهؤلاء إذاية. أخرجه مالك وغيره).

ونشير فيما يلي إلى عدد من الأحاديث النبوية التي تنهى عن الاعتداء على النساء والصبيان والشيوخ والأطفال:

- عن نافع، عن عبد الله، أن امرأة وجدت في بعض مغازى رسول الله ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان.[3]

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٢ صـ٧٢٢ وما بعدها.

(٢) رواه الترمذي ج٤ ص١٣٦، وأبو داود ج٣ ص٥٣.

(٣) صحيح مسلم ج٣ صـ١٣٦٤ باب ما جاء في النهي عن قتل النساء والصبيان- ورواه أبو داود ج٣ ص٥٣ باب في قتل النساء، الموطأ – مالك بن أنس ج٢ صـ٤٤٧.

- عن ابن عمر أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ ذلك ونهى عن قتل النساء والصبيان.[1]
- عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال:

(انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا، ولا صغيرا، ولا امرأة، ولا تغلُّوا، وضمُّوا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)[2] .

وفي رواية أخرى، عن بريدة قال[3] : " كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال:" اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا[4] ولا تمثلوا[5] ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم؛ ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم إن هم فعلوا أن لهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، وإن هم أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المسلمين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية[6] فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، وإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ".

واقتداء برسول الله ﷺ، فإن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما كانا إذا بعثا الجيوش الإسلامية أوصيا قادتها وأفراد الجيش بما كان يأمر به الرسول ﷺ، فقد وقف أبو بكر الصديق ﷺ خطيبا، يودع جيش أسامة بن زيد وقال:

(١) سنن الترمذي ج٤ ص١٣٦ باب ما جاء في النهي عن قتل النساء والصبيان- ورواه أبو داود ج٣ ص٥٣ باب في قتل النساء.

(٢) أبو داود ج٣ صـــ٣٨ باب في دعاء المشركين.

(٣) خطب الرسول ﷺ – محمد خليل الخطيب صـــ٢٩، ٣٠، الأموال – أبو عبيد القاسم بن سلام صـــ٢٨.

(٤) تغدروا: تنقضوا عهودكم.

(٥) مثلت بالقتيل: قطعت أنفه أو أذنه أو مذا كيره أو شيئاً من أطرافه.

(٦) الجزية: ما يؤخذ من أهل الذمة وجمعها جزى كسدرة وسدر.

" أيها الناس، قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني، لا تخونوا، ولا تَغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شئ فاذكروا اسم الله عليه،....." [1].

– وعن حياة بن شريح: [2]

" أن عمر بن الخطاب كان إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله ثم قال عند عقد الألوية: " بسم الله وعلى عون الله، وامضوا بتأييد الله والنصر، ولزوم الحق والصبر، وقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ثم لا تجبنوا عن اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تنكلوا عند الجهاد، ولا تقتلوا امرأة، ولا هرما، ولا وليدا، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند هجمة النهمات، وفي شن الغارات، ولا تغلوا عند الغنائم، ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا وابشروا بالأرباح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

(لا ضرر ولا ضرار) [3].

والضرر ضد النفع، أي أن الرسول ﷺ ينهى عن أن يتسبب الرجل في ضرر لشخص آخر، فينقصه شيئا من حقه، وبخاصة إذا كان برغبة تحقيق نفع للمتسبب في الضرر على حساب المضرور، فقد دل الحديث على تحريم الضرر؛ لأنه إذا نفى ذاته دل على النهي عنه، لأن النهي لطلب الكف عن الفعل، وهو يلزم منه عدم ذات الفعل فاستعمل اللازم في الملزوم، وتحريم الضرر معلوم عقلا وشرعا إلا ما دل الشرع على إباحته؛ رعاية للمصلحة التي تربو على المفسدة، وذلك مثل: إقامة الحدود ونحوها، وذلك معلوم في تفاصيل الشريعة ويحتمل أن لا تسمى الحدود من القتل والضرب ونحوه ضررا من فاعلها لغيره؛ لأنه إنما امتثل أمر الله له بإقامته الحد على العاصي، فهو عقوبة من الله

(١) الصديق أبو بكر – محمد حسين هيكل صـ٩١، الموطأ – مالك بن أنس ج ٢ صـ٤٤٨ كتاب الجهاد – باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو.

(٢) سيرة ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ج١ صـ١٠٢، ١٠٣.

(٣) رواه أحمد وابن ماجة.

تعالى، لا أنه إنزال ضرر من الفاعل، ولذا لا يذم الفاعل لإقامة الحد بل يمدح على ذلك[1].

فالإسلام ينهى عن الاعتداء على الغير، ولكنه في الوقت نفسه يأمر بإعداد العدة من الرجال والعتاد، لا للاعتداء على الغير، ولكن لمنع الغير من الاعتداء على المسلمين، لرهبتهم فقط ومنعهم من تنفيذ الاعتداء ومهاجمة المسلمين ليقينهم أنهم إذا اعتدوا على المسلمين، سيجدون مقاومة شديدة وردعا لهذا الاعتداء وسينالهم أذى شديد، يلحقهم في أنفسهم وأموالهم، ويترتب على ذلك ترك المسلمين يعيشون في سلام وأمان.

وينهى الإسلام عن الإفساد في الأرض وعن الإثم والعدوان والظلم وبصفة عامة فإنه ينهى عن السعي إلى الإضرار بالغير، وهذا النهي عام يشمل كل الناس في أوطانهم، فلا نجد نصا واحدا قرآنيا أو نبويا، يبيح الاعتداء على الذميين أو المستأمنين، ولا نجد نصا واحدا يأمر بظلمهم أو الاعتداء عليهم، إنما نجد كثيرا من النصوص التي توصي بهم، وتأمر بالإحسان إليهم، ومعاملتهم معاملة طيبة، ماداموا ملتزمين بأحكام القانون، و لم يعتدوا على غيرهم وأنهم إن فعلوا ذلك، لقوا عقابهم ويتولى ولي الأمر العقوبة كغيرهم من باقي المسلمين.

بل إن الرسول ﷺ ينهى عن الإضرار بالغير، بنص عام أيضا وهو " لا ضرر ولا ضرار " يشمل كل الناس، بحيث لو التزم كل شخص بذلك، لساد السلام والوئام، العلاقات الإنسانية الثنائية والجماعية.

مما سبق يتبين أن الإسلام يحرص على غرس مبادئ الأخوة الإنسانية لدى المسلم، ويتعامل مع الغير بناءً على ذلك، فلا يعمل على ضررهم ولا يساعد على ذلك، حتى ولو اختلف معهم في العقيدة أو الرأي.

النهي عن الغـــدر:

نهى الرسول ﷺ عن الغدر، لأن فيه ترويع شخص آمن من الاعتداء ولا يتوقعه، ومن ذلك:

- ما روي عن عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ:(إن الغادر يَنْصِبُ الله له لواء[2] يوم القيامة. فيقال: ألا هذه غَدرة فلان)

(١) بتصرف من: سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام – محمد بن إسماعيل الصنعاني ج٣ صـــ٩٢٨.

(٢) قال أهل اللغة: اللواء الراية العظيمة، لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب أو صاحب دعوة الجيش ويكون الناس تبعا له. قالوا: فمعنى لكل غادر لواء أي علامة يشهر بها في الناس، وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحفلة لغدرة الغادر، لتشهيره بذلك. وأما الغادر فإنه الذي يواعد على أمر ولا يفي به، صحيح مسلم ج٣ صـــ١٣٥٩، صـــ١٣٦٠ باب تحريم الغدر وفيه ١٦ حديثا بهذا المعنى، الترمذي ج٤ صـــ١٤٤ باب ما جاء أن لكل غادر لواء يوم القيامة.

وعن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ [1]
(لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به).

- عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرا على جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر، اغزوا ولا تغُلُّوا ولا تغدروا ولا تُمَثِّلوا ولا تقتلوا وليدا " [2].
- وقال ﷺ (من أمن رجلا على دمه، فقتله، فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة) [3].

(١) المرجع السابق صـــ١ل٣٦٠.

(٢) الترمذي ج٤ صفحتي ٢٢،٢٣ باب ما جاء في النهي عن المُثْلَة، وأبو داود ج٣ صـــ٣٧ باب في دعاء المشركين واللفظ للترمذي.

(٣) سنن ابن ماجة – كتاب الديات – باب من أمن رجلا يوم القيامة ج ٢ صـــ٨٩٦.

obeikandl.com